أغصان الزيتون

محمد عادل يوسف

اسم الكتاب: أغصان الزيتون

اسم الكاتب: محمد عادل يوسف

تصميم الغلاف: محمد عادل

تدقيق لغوي: محمد عادل

المقدمة :

إهداء لكل نفسٍ لم تُهزم ولم تستسلم ولم تخضع لتحديات الحياة....

الأم ، قدم من ذهب؟!

لقد خلقنا الله فى أحسن صورة ، ووهبنا الكثير من الخيرات والنعم ، ودعونا نتحدث عن أهم هذه النعم ، بل هى الحياة والموت ، إنها الحياة بدعواتها الصادقة لأبنائها ، إنها مخلوقة ليس لها مثيل ، كأنها تمتلك كل شئ ، نعم ، لقد جعل الله تحت قدميها كل شئ ، جعل تحتهما كل ما يتمناه المرء ، قبل أن تفكر به يكون بين يديك ، ولكن كالعادة أين المفر ؟! ،

أنا الرجُل من حقى أن أضربها، وأن أغضب عليها ، وأقف وعيناي تفيضان بنار الشك ، نعم ، نار الشك ، هذا الذى يقتحم المنزل دون إستئذان ، ويدخل هذا المنزل الرائع ، هذا المنزل الجميل الملئ بالجمال ، الملئ بالحب ، ولكن إذا دخله هذا الشئ الخطير ، سيقوم بهدم هذا المنزل الجميل ويجعله رماد ، ولكن هناك من يقف أمامه دائما ، ويتحداه بكل ما فيه من طاقة ، ولديه الكثير من الطاقة ، إنهم " الأمهات " ، نعم ، إنهم القوة الخارقة التى لا تُقهر ، ماذا أقول لهذه المرأة ؟! ، من أين لكِ بتلك العزيمة ؟! ، لا أعلم ، ولا أحد يعلم ، سوى واحدا فقط، إنه الذى خلقها ، وأعطاها تلك القوة وتلك العزيمة ، فنحن الرجال بلا قيمة بدون هذه المرأة ، إنها تجعلك تؤمن بنفسك ، تفتح لك ذراعيها ، وتأخذك إلى عالم أخر ، عالم ملئ براحة البال ، ملئ بالبهجة ، لن تجده إلا بين ذراعيها ، وتمر الأيام بسرعة كبيرة ،

وتأخذنا الحياة إليها ، ونذهب إليها مسرعيين ، وتجعلك فى قمة البهجة والسرور ، ولكن لن تفتح الحياة لك ذراعيها ، فقد تجعلك غنى ، صاحب مكانة ، متزوج من أجمل إمرأة بالعالم ، تشعر بأنك مَلِك هذا العالم ، ولكن الحقيقة أنك لا تملك شيئاً ، لأن كل شئ لديها ، وأنتَ حى ، تعطيك الحنان ، حنان من نوعاً خاص ، هذا الحنان مأخوذ من عند الله ، نعم ، أعطاها خالق الوجود كأسا من الحنان ، ولكنه يختلف ، فهو كأسا لا ينتهى أبدا ، يعطيها الله هذا الكأس ، وتأخذه ، وتعطيه إلينا ، لا تأخذ شيئا منه ، لا توجد كلمات تستطيع أن تصف شعورك وأنت تشرب من هذا الكأس ، وهذا الكأس لا ينتهى ، تظل تشرب منه ، وإن ذهبت إلى الله ، لا تتركك ، تطلب من رب العالمين أن يعطيك ، فيعطيك ، ونسأل لماذا تفعل هذا ؟! ، لا يستطيع أحد أن يتكلم ، لأنه لن يجد الجواب ، لأنها هى الجواب لكل سؤال ، هى الدواء لكل داء ، هى الحب بمعناه الحقيقى ، هى كل شئ ، ولو تكلمت أكثر ، لأكتب أكثر ، إلا أن تنتهى الأحرف والكلمات ، ولن تنتهى الأحرف والكلمات ، لذلك لن ينتهى عشقك لها ، إنه عشق من نوعا خاص ، وأخيرا أقول لهذه المخلوقة :

إنكِ سر الحياة، أعطاكى الله مكانة عظيمة، أرجو أن نحافظ عليها؛

إهداء إلى أعظم خلق الله ، صاحبة القدم الذهبى "الأم".....

إلـهى والـهدف ؟!

يوجد العديد من الديانات فى هذا العالم ، هذا العالم الملئ بالتساؤلات ، والأجوبة التى تقتنع بها ، والأخرى التى تُعجب بها ، فهناك فرق كبير بينهما ، فالأولى :

تكون نابعة من عقل يملئه الفكر والإيمان ، والثانية : تكون نابعة من عقل يملئه الفكر ويفتقر الجانب الآخر ، فتُعجب بالإجابة ، ولكن لا ترسخ بذهنك ، لأنها آتية من عقل مثلك تماماً ، أما الأخرى التى تقتنع بها ، تأتى من عقل يختلف عنك فى الكثير من الأمور ، فأفكاره لها قدسية خاصة ، لأنها مليئة بالإيمان المطلق من الإله الواحد الحق ، وأُكمل حديثى ؛

يوجد فى كثير من البلدان ، ديانات متعددة ، فهناك البوذية ، الذرادشتية ، الهندوسية ، وغيرها من الديانات

الأخرى ، وتجد الأفراد الذين يتبعون هذه الديانات ، لديهم إخلاص شديد فى : العمل ، العبادة ، والعديد من

الأمور الأخرى ، ويمر الزمن بعجلته الذهبية الجميلة ، تُغريك هذه العجلة ، وتريد أن تأخذها وتذهب بعيداً إلى أبعد حافة بالعالم ، لكى تمتلكها وحدك ، لا تريد أن يشاركك أحداً بها ، وبعد ذلك يدرك هذا الإنسان الحقيقة ، الحقيقة الصحيحة لهذا العالم ، ويسأل نفسه : وماذا بعد ؟! ، ما الهدف وراء ما فعلت ؟! ، ويظل يسأل نفسه وهو حائر بين دائرة القلق والإغتراب ، ومهما فعل لن يخرج من هذه الدائرة إلا إذا إعتنق هذا الدين " الإسلام " ، لكى يرى جماله وسماحته وصفاته التى لا تُعد ، لأن ليس لها حدود ، وبعد ذلك يقارن بين صفات هذا الدين

والأديان الأخرى ، وإن وجد الكثير من الأشياء التي ستُعجبه بالأديان الأخرى ، ولكن لن يجد جواب لهذا السؤال :

ما الهدف من ذلك العمل ، وذلك وذاك .....إلخ ؟! ، سوف يدخل فى دائرة الحيرة ، ولكن سيجد جوابه بهذا الدين ، ولن يكون هناك دليل بل ألف دليل بل ملايين الأدلة ، وأنا لا أبالغ ، فحينما يجد قلبك راحة بقول شهادة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله ، سيجد طمأنينة ، شعور غريب ، وسيذهب القلق والإغتراب إلى مكان آخر ، مكان يجد فيه هذا الشخص الذى يقول له " مرحباً بك " ، ولا يعلم أن الله خلقه ليحيىٰ بأمره ، ويعمل لطاعته ، وليس بدون مقابل ، لا ، بل بمقابل ، وهذا المقابل " كل شئ " ، وتسأل : هل يعقل هذا ؟! أن أمتلك كل شئ ؟! ، نعم ، ستمتلك كل شئ ، لأن بيدك كل شئ ، بيدك الهدف الذى ستعيش من أجله ، هدف الحياة الأبدية ، الخالدة ، ولكن أنت من ستُقرر أين ستعيشها ؟! ، فهناك الكثير من الأشخاص ، إنتحروا ، لأنهم لم يجدوا جواب لهذا السؤال : ما الهدف وراء كل هذا ؟! ، لأنهم إذ كانوا وجدوه ، مِنَ المستحيل أن يقوموا بالإنتحار ، لأنهم أدركوا حقيقة الكون ،

حقيقة أن الإنسان بلا هدف ، يصبح بلا حياة ، كذلك الديانة ، ديانة بلا هدف ، ديانة مزيفة ، ليست حقيقية .....

منـافق ، كـاذب ، مَن ؟! ، أنـا ، لا ، لا أقصد ، أنـا أسف ؟! .

كان ياما كان ، فى يوم من الأيام ، فى موقف من مواقف الحياة ، حدث ما يلى :

فى يوم من الايام ، ذهبت مع أصدقائى إلى إحدى المقاهى فى قريتنا المتواضعة ، فجلسنا فى هذا المقهى الجميل ، وتحدثنا وشربنا ، وفى لحظة من اللحظات الخاطفة التى تأخذك إلى أبعد مما تتخيل ، كأنك فى عالم آخر ، لا يوجد فيه سواك ، أنت فقط ، وفى هذا العالم جاء إليك إنسان لا تعرف عنه أى شىء ،سوى أنه إنسان من هذا العالم سيتحدث معك قليلا ، ثم يذهب ، ويدعك تذهب إلى عالمك الذى تعيش فيه ، وبدأ الحديث بيننا :

أنا : مَن أنت ؟ ولماذا جئت بى إلى هنا ؟! ،

هو : أنت فى عالمنا ،

أنا : عالمكم ؟ من أنتم ؟ ، حينها سكت ، كأنه يأخذ نفسا عميقا ، وبعد ذلك إنطلق في الحديث بلا توقف:

من أنت لتتحدث عن أخيك المسلم ، وتبدأ بالضحك والسخرية مع من معك ، وبعد ذلك عندما تصبح منفردا بحالك ، تأتى إلينا ، وتقول أنا نادم على ما فعلت؛

من أنت لتقتُل ، وتنهب ، وتغتصب ، وتستعمر البلد ، وتبدأ بفرض أحكامك العرفية ، وعندما يتحدث أهل البلد ، أصحاب الحق ، تقول إن هذا لدواعي أمنية وإن هذا لتنمية البلاد ، وتبدأ بخلق نوعا من الإنكسار في نفوس أهل البلد ، ويبدأون فى تداول هذه الجملة إلى بعضهم البعض " إللى نعرفه أحسن ملى ما نعرفوش " ، وأصحاب السلطة يبررون موقفهم بقولهم : " الغاية تبرر الوسيلة " ، أى نوعاً من الإنسانية هذا ؟ ، وعندما يأتيك الموت تقول لنفسك ، ماذا فعلت ؟!؛

من أنت لتقول هذا حلال ، وهذا حرام ، وتقول يجب أن تفعلوا هذا ، ولا تفعلوا هذا ، وإلا تعرضتم للعقاب في الدنيا والآخرة ، وهذا الشخص ذاته يفعل تلك الأشياء ، ولكن عندما يرتدى طاقية الإخفاء ؟! ، لأنه عندما يلبسها يصبح حاكماً لعالمه الخاص الذى يحركه كيفما يشاء ، ليخدم مصالحه الشخصية ، لأنه يخدم بأفعاله تلك ، الذين يقولون " نحن متقدمون في كل شىء " ، ويقولون عنا " عالم ثالث ؟! ، وأيضا عندما يدرك الحقيقة يقول لنفسه ، لماذا فعلت ؟!؛

وفجأة عدت إلى عالمى الذى أعيش فيه ، عندما لاحظت أن أحد أصدقائى يدفعنى بقوة ، ويقول بنبرته المعتادة :

نعلم جميعاً إلى أين ذهبت هذه المرة بمخيلتك يا صديقي؟!، إلى عالمك الخاص، أليس كذلك؟!، ويبتسمون جميعاً، وحينها أدركت أن هذا الإنسان كأنه موكل من ضمائر البشرية جميعها ، وأنه ياتى إليهم ، ويتحدث معهم ، ثم يتركهم ، ويذهب ، وأنه أتى إلي وتحدث معى عن الإنسان عامة فى حديثه الأول ، وتحدث عن الحكام في حديثه

الثانى ، وتحدث عن الذين لا ينتمون إلى الانسانية بصلة ، إنهم ، لا، لا أستطيع أن أقول ، أترك لكم هذا ؟! ، وسمعت هذا الصوت بداخلى :

منافق ، كاذب ، فقلت : بصوتٍ مرتفع يكاد يسمعه أصدقائى : مَن؟!، أنا؟! ،

قال : لا ، لا أقصد ، أنا أسف .....

أنا والطفلة ؟!

مِنَ المستحيل أن نفهمها ، تجعل الإنسان يرتكب الأخطاء ، ويفعل الخيرات فى آن واحد ، تجعله يحب لدرجة الجنون المطلق ، لا يستطيع أن يتحرر منه ، إلا بعد إجتياز عدة إختبارات وإذا نجح ، أصبح حراً ، وإذا لم ينجح ، أصبح مقيد بسلاسل هذا العشق ، واحدة توحى بالألم ، والأخرى بالغيرة ، وغيرها بالعشق الأبدى ، والناجون من هذا ، قليلون ، لأن الحياة الواقعية تأخذنا إلى أبعد من كل هذا ، تأخذنا إلى الحرمان ، تأخذنا إلى الفقر الذى يقتُل الإنسان ، ويجعله يخوض العديد من المعارك ، ولكن أحيانا يهُزم من أول معركة ، وإذا نجا من هذه المعارك ، يأخذه إلى الكثير ، والكثير منها ، نعم ، لديه الكثير ، أعداد لا تُحصى ، هذه هى الحياة ؛

كنت ذاهب لزيارة جدي وجدتي، وأطمئن عليهم، هعندما أدخل منزلهما، أشعر بهدوء وراحة ليس لها مثيل ، وبعد ذلك تقوم بإحضار (الجبنة ورغيف العيش)، وكوب من الشاى ، وتقوم بالدعاء، أن يوفقني الله ويطلح حالي ، وبعد كل هذا ، خرجت من المنزل ، وأنا خارج رأيت طفلة لا تتجاوز الثانية عشر من عمرها ، كانت هذه الطفلة فائقة الجمال ، جمالها لا يوصف ، فذهبت إليها ، وحدثتها ، وحدث الآتى :

الله، ما هذا الجمال؟!، إنكِ مثل القمر حينما يكتمل، وبعد ذلك، قبلت رأسها وقلت لها : ليحفظك الله من كل سوء وكنت سأُكمل طريقي ولكن أوقفتني الطفلة ونظرت إلي بعينيها السود ، وقالت :

هذا الكلام موجهة إلي؟! نعم، وهل يوجد قمر غيرك؟! ، كنوع من المغازلة الطفولية ، فهى طفلة لا تتجاوز الثانية عشر من عمرها ،

وبعد ذلك ، نظرت إلي بعمق شديد ، ولم تتحدث ، وتركتنى ، وغادرت ، وأنا فى قمة

الإندهاش ، لماذا تتعامل طفلة كهذه بهذا الشكل ؟! ، وذهبت إلى المنزل ، ولا يزال تفكيرى ، يحدثنى عنها ويردد ويقول : مَن هذه الطفلة ؟! ، ومرت الأيام ، وخطر إلي أن أقوم بزيارة جدتى ، وذهبت وخيالى مع هذه الطفلة ، هل سأقابلها أم لا ؟! ودخلت المنزل، وجلست بجوار جدي وجدتي لبعض الوقت وتحدثنا قليلا ، وبعد ذلك خرجت من المنزل ، لعلى أراها ، ولكن لم أراها ، وأنا ذاهب إلى منزلي ، رأيت طفلة جالسة على السلم الخارجى ، إقتربت منها ، لكى أرى بوضوح ، لعلها تكون الطفلة ، وبالفعل كانت هى ، وجلست بجوارها ، ودار هذا الحوار بيننا:

أنا : مَن أنتي أيتها الطفلة؟!، ما إسمك؟!،

هى : لم تتحدث ، ولم تنظر إلي ، كأننى سراب ، لا شئ

أنا : نظرت إليها نظرة عطف وشفقة، وقلت :

أعتقد أن هناك مَن يضايقك فى المدرسة أو فى المنزل، تكلمي، لم تتكلم، وأُكمل :

، لماذا لا تبتسمين وتلعبين كأطفال هذا العمر، الذى يحمل كل ذكريات الطفولة البريئة ، يلعبون ويضحكون طوال الوقت، كأنهم في عالم آخر ، أعتقد أنكِ تحبين؟!، (هههه) ، وأنا أقول هذا الكلام لم يخطر ببالى أنه قد يكون حقيقى ، لأنها لا تزال طفلة ، ولا تعرف شيئا عن الحب؛

هى : أنا مدركة تماماً بماذا تفكر الآن؟!، تحدث نفسك وتقول : إنها لا تزال طفلة، لا تدرك شيئاً ، ولكن لم تدرك للحظة أن هذه الطفلة لديها قلب مثلك تماماً ، ينبض بالحب وأنا أنظر إليها بإندهاش ، ولا أستطيع الكلام ، وتستمر هى بالكلام دون توقف :

الله، أنا أحب الله كثيراً، وكذلك الله ، أليس الأطفال أحباب الله ، أنا بحمد الله إن أنا طفلة، لا أحد يدرك الطفولة بمعناها الحقيقى ، هذا الذى يجب أن ندركه ، كل البشر يعتقدوا أن مصطلح طفلة، يفسر أنها طفلة فى كل شئ ، فى الكلام مع الناس والمشاركة فى الآراء ، صغيرة فى الحب ، إذا أحبت يقولون :

إنها طفلة صغيرة ، حب ماذا؟!، وتتعامل بقسوة شديدة ، مع إن أنقى أنواع الحب ، هو حب الأطفال ، لأنه ملئ بالصفاء ، وأهم ميزة فيه ، أنه لا يغضب الله ، ولكن مع مرور الأيام ، يصبح الصغير كبير ، وخيال هذا الإنسان الكبير يأخذه لحب ثانى ، حب " الجسد " ، الجسد فقط ، لا علاقة للروح بهذا الحب ، لأن حب الروح للروح ، هو حب الأطفال ، أقول هذا الكلام، لأنني أحببت، ولكن حبى يختلف عن حبكم ، حب صادق ، مخلص فى جميع حالاته، لا يوجد به خيانة، قتل، كره، حقد ، ، يوجد شيئاً واحداً يميزه، إنه (الحب) ، فتعريف الحب هو :

" الحب هو الحب " ، وتركتنى وذهبت ، ولم أستطع الكلام بكلمة واحدة لكى أدافع عن حبنا نحن الكبار، فهناك مَن يعشقون بصدق، ويتمثل هذا الحب فى الرباط المقدس (الزواج)، لم أستطع الكلام،

مِن دهشة الموقف، ولكن ذهبت خلفها، لأراقب خطواتها، وأعلم إلى أين تذهب، وفجأة قرأت عبارة دار أيتام (الإيمان)؛

وسألت رجُل يدعى (محمود غنيم)، عن هذه الطفلة، فكانت هناك مشرفة توبخها وتقول : إلى أين تهربين كل يوم؟!، أجيبي، ثم قال هذا الرجل بصوت عطوف :

إنها (هند محمد عبد الجواد)، جاءت عندما كانت فى الخامسة من عمرها، بعدما خان والدها أمها،

فقامت بالإنتحار بشنق نفسها، وهرب هذا الأب معدوم الضمير، فظلت هذه الطفلة وحيدة بعد هذه الحادثة، فقامت السيدة فاطمة، جارتهما بإرسالها إلينا، وكل هذا وأنا مُنصت إليه، وسألته :

مَن تكون لكى تعلم كل هذا؟!، أجاب :

أنا مدير هذا الدار، وأنت مَن تكون؟!،

فأجبت وأنا فى حيرة : أنا لا أحد.....

رسالة : إلى كل رجُل وإمراة أحبوا وكان بينهم هذا الرباط المقدس، لا تجعلوا شهواتكم تحرككم، فتنهوا حياتكم، وتظلِموا أحبتكم ، وتذكروا دائماً أنها فانية، وعند الله دار الخلود والسلام.....

الشكل الاجتماعى ؟! ، الظاهر ضد الباطن ؟!.

إن المجتمع ملئ بالقصص والحكايات ، وكل حكاية تمثل شخصية من الشخصيات المرموقة فى المجتمع أو المدهوسة فى قاع هذا العالم الظاهرى ، فهناك بين الأصدقاء ، يقول الصديق لصديقه ، العديد من الأمور التي

تُتوج بزعيمها ، وهو " المال" ، الذى يتجزأ منه العديد من الأمور وهى السلطة ، الشهرة ، الشكل الاجتماعى من وجهة نظره ، إنه الحاكم الأول بين هؤلاء الأشخاص ، وحينما يصدر حكمه فى أى شىء ، يكون هو الصواب حتى وإن كان على خطأ ، يظل الملك ، وهم الحاشيه وأتباعهم ، ويجب إتباع الأوامر ، وإلا سيكون هناك عواقب وخيمة ، إذا لم ينفذ الأمر أو حتى تم الإعتراض عليه ، إنه زعيم هذه الفئة ، نعم ، إنها فئة معينة من الفئات التى تمثل شخصية معينة من هؤلاء الشخصيات ، الذين يجسدون أو بالأحرى هم أبطال الحكاية ، وهذا هو الشكل الظاهري لهذه الطبقة ، إنه المال (الزعيم) ، أما الشكل الباطنى لها ، السعادة التى لا تتحقق ، فالسعادة الحقيقية تأتى من حنان أب لأبنه ، من دعوة أم صادقة لأبنها ، أما هذه الفئة ، تتعامل بحنان المال ، وإذا إنتهى هذا الحنان ، وسوف ينتهى ، لأن الإنسان لا يظل على حاله كما هو ، فإنه يتطور شكلا وموضوعاً فى تكويناته الجسدية ، وبالتالى يتغير من حيث التفكير ، ويذهب إلى الجانب الآخر وهو الباطنى ، ويطلب منه العفو ، ويقول له سوف أعوضك على كل ما فات ، ولكن حينها يكون الأوان قد فات ، فالجانب الأول وهو الظاهري ، يكون قد سرق أعز ما يملك هذا الشخص ، إما أن يكون إبنه فقد يرتكب جريمة زنى أو قتل ،

ولا يعطى إهتماما لما فعله ، لأنه ابن فلان ، وحينما يعرف أنه كان على خطأ ، يكون الأوان قد فات ، أو زوجته ، فقد تخونه لأنه لا يعاملها إلا بحنان المال ، ولم يفكر لحظة أن يعطيها حنان فؤاده بكل ما فيه من حب ،

فالقلوب مهما كانت قسوتها لابد من وجود حب ، وإن لم يكن كثيراً ، وحينما يدرك أنه كان على خطأ ،

يكون الأوان قد فات ، وعندما تدرك هى ، تذهب مسرعة إلى الجانب الآخر ، وهو الباطن ، وتطلب منه أن يسامحها ، وهناك يتقابلان ، وعندما لا يجدوا حل ، يذهب كل واحد إلى عالمه الخاص به ، وبعد كل هذا تبدأ حكاية جديدة ، وأيضا تنتهى أخرى ، هذه هى الحياة ،

ولكن قد يشعر الجانب الظاهر أنه مظلوم ، وأيضا الباطن ، فيحدث صراع بينهما ، ويشتد إلى أن يهدأ ، وبعد ذلك يجلسوا ويتفاهموا ، لكى يجدوا حل ،

فيحدث هذا الحوار بينهما :

الظاهر : لماذا لا تدعنى وشأنى ؟!،

الباطن : لن أتركك تفعل ما تريد ؟!،

الظاهر : ما شأنك فى هذا ؟! ، سيُحاسبني الله ؟!، ما شأنك؟!،

الباطن : أنا مطالب بردعك على كل ما تفعله؟!

الظاهر : كما تشاء؟! ، ولكن لن أتركهم،

الباطن : ماذا تعنى ؟!،

الظاهر : (هههه) ، إنك خاسر يا صديقي، لا محالة ، لأن مجتمعك بكل ما فيه من أشخاص هم أشخاص ظاهريين ، وليسوا باطنيين ، وأكثرهم يقدم لى فروض الولاء والطاعة كل يوم

الباطن : ستندم على ما تفعله ؟!

الظاهر : أنت مطالب بردعى وأنا لن أستسلم يا صديقي،

الباطن : هفوز أنا وفئتى ، إن شاء الله ، والأيامُ بيننا

الظاهر : أتمنى ذلك؟!،

وبعد كل ما قيل ، حدثتُ نفسي قائلا :

أنا مِن الليلة مِن فئة الباطن ، ولن أعود إلى الفئة الأولى أبداً، والغريب أنه مع مرور الأيام ، عُدت إلى الفئة

الأولى (الظاهر)،

وبدأت أُردد وأقول :

إستغفر الله ، إستغفر الله ، إستغفر الله .....

رسالة : إلى كل إنسان خطاء، نعم، أنت لست معصوم من الخطأ، ولكن قاوم على قدر المستطاع، ولا تيأس أبداً، وتذكر دائماً ، أننا أحبابُ الله والسلام.....

من نفسى إلى نفسى؟

تحدثت نفسى بداخلى وبدأت تهمس بكلمات لا أعلم ما معنى هذه الكلمات ، هل هى توحى بالألم؟!، أم توحى بالعجز؟، أم توحى بالوحدة؟، لا أدرى ، فجلست فى هدوء وبدأت أراقبها ، فلاحظت أنها تتألم وتُتمتم بكلمات توحى بالألم مثل لا تتركنى ، سأظل أحبك ، وعندما سمعت هذه الكلمات لم أفهم شىء ، فبدأت أفكر طوال النهار والليل بهذه الكلمات ، أفكر ، وأفكر ، ولكن لم أستطع الوصول ، فذهبت للفراش لأستَريح ، وفى الصباح التالى ، عندما إستيقظت ، بدأت أسمع هذه الهمسات ، فبدأت أترقبها ، وفى لحظة من اللحظات ، سمعت شيئا غريباً ، لم أسمعه من قبل ، بدأت تهمس وتقول :

(مجنون ، أحمق ، بلا عقل ، جبان) ، فسمعت هذه الكلمات ، وبدأت أفكر ، لماذا تقول هذا ؟ ، وظللت طوال النهار والليل أفكر وأفكر ولم أوصل لشئ ، فذهبت للفراش

لأستَريح ، نعم، هذا هو الفصل المقرر لهذا العام (مِن الصالة لغرفة النوم)، هههه أمزح، وفى الصباح التالى ، عندما إستيقظت ، بدأت تهمس كعادتها ، فهى كانت تهمس وتذهب ، فلم يكن لدى الفرصة لأحدثها و أسألها ما بها ؟! ، ولكن هذه المرة همست وقالت :

سوف أموت ، أنا :

لا، لن يحدث ذلك، لماذا تقولين هذا؟!، ؟! ، فظللت طوال النهار والليل أفكر لعلى أصل لشئ مفيد ، ولكن لم أصل حتى ولو لفكرة تقودنى إلى أجوبة؟! ، فذهبت للفراش لأستَريح ، وفي الصباح التالى ، عندما إستيقظت ، بدأت تهمس ، فأوقفتها بسرعة شديدة قبل أن تذهب ، وتحدثت لها قائلا :

أريد أن أعلم، لماذا تهمسين بهذه الكلمات؟!، لماذا تستمرين بإحداث هذه الضوضاء؟!،

فنظرت إلي وقالت :

أنا لم أهمس لك أبدا؟! ، فقد كنت بعيداً عني دائماً ، ولم تصاحبنى يوماً ما ، ولم تطمئن عليِ منذ زمن بعيد ، أنا : إذن، مِن أين تأتى هذه الكلمات؟!،

قالت : إنه الوهم؟! ، أنت من توهم نفسك بهذه الكلمات والهمسات ، لهذا أنت كذلك ، نظرت إليها مندهشاً مما تقول ومِن ثم تحدثت بصوتٍ هادئ :

وما الحل لإختفاء هذه الكلمات والهمسات؟! ، قالت:

إجعل نفسك التى تحدثك الآن مليئة بالحب ، حب نفسك دائماً ولا تيأس أبداً لأن الذى خلقك وخلق كل شئ موجود دائماً وأبداً ، تصبح على خير؛

وفى هذه الليلة أيقنت أن الحب هو أصل الوجود ، وأن اليأس هو الموت البطئ للإنسان ، وذهبت للفراش، ولكن اليوم لكى أنام نوماً عميقاً ، كأنني خُلقت من جديد ....

إهداء إلى من تحدثه نفسه كثيراً ، وأقول إنه الوهم

إلى اللقاء.....

آه ؟!

ماذا عساى أن أقول ؟! ، إن هذه الكلمة تراود من فى الأرض جميعا ، يقولها الطفل الصغير عندما يعاقبه والده على شيئا خطأ فعله ، فيقول الطفل بصوت مرتفع ، آه ، آه ،

يقولها رجل الأعمال سواء كان صالح أم فاسد ، نعم ، يقولها رغم فساده ، عندما يخسر إحدى صفقاته ، فيصيح بصوت مرتفع ، آه ، آه

،يقولها السجين ، سواء كان مظلوم أو ظالم يستحق ما يفعل به ، فى الحالتين يقولها ، حينما يضربه سجانه بالعصا أو بغيرها من الأدوات التى يتعاملون بها فى هذه المستنقعات ، نعم ، إنها مستنقعات ، يغوص فيها الإنسان بكل ما فيه من عزيمة وإرادة لكى يبحث عن وسيلة للخروج ، وعندما يجدها ويخرج من هذا المستنقع ، يدخل في واحد آخر ، ولكن ليس وحده ، بل هناك الكثير من الذين يشبهونه ، وأيضا هناك المتباينين أى المختلفين عن الإنسان عامة ، بكل ما فيه من صفات حميدة وأخلاق سامية ، وهبها الله له لكى يعمر الأرض وينشر السلام ، ولكنه يستخرج من هذا المستنقع العديد من الصفات الدخيلة ، نعم ، إنها دخيلة ، تحاول أن تبعده عن واجبه الأساسى الذى خلق لتأديته على أكمل وجه ، ولكن كيف ؟! ، إنه محاط بالعديد من المستنقعات ، ولا يعرف كيف ومتى يخرج منها ؟! ، هل سيخرج ؟!

يقولها جميع البشر ، ولكن هل سيأتي يوما ما تقف فيه هذه الكلمة أمام من يقولها وتقول له : كفى ، لست بحاجة لمناداتى مرارا وتكرارا ، سوف يتغير هذا العالم يوما ما ، لا تقلق ، لأننا نحلم دايما ، ولن تنتهى هذه الأحلام إلا إذا إنتهى الإنسان ، وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية الطريق ، ولكن قبل أن نصل إليه ، يراود كل منا العديد من الاسئلة وهى :

هل حققت ما أتمناه ، أم كنت أحلم فقط ، ولا أزال مستغرقا فى النوم ، وحينما افيق ، أكون قد ولدت من جديد ، ولكن فى عالم آخر وناس آخرين ، كل ما فى هذا العالم متغير ، متنوع بكل ما فيه ، هل عرفته ؟! أظن ذلك ؟!

هل سأكون في اختبار مثل الاختبار الأول ، أم إننى سوف اتحرر من جميع الأغلال التى تلتف حول رقبتى ، وتظل صامدة ، فاترجاها أن تبعد عنى ، فتسمح لى بالتحرر ، ولكن لفترة معينة ، وترجع مرة أخرى وتظل صامدة ، وأظل أنا على نحوى هذا حتى تصفح عنى ؟!

وأهم سؤال يراود كل منا ، هل سيغفر لى أم سيعذبنى ؟!، هل سيدخلنى جنته التى بعرض السماوات والأرض أم سيحرمنى منها ؟!

وبعد كل هذا العناء فى التفكير الذى يعانى منه كل إنسان ، نرجع إلى هذه الكلمة التى يقولها كل إنسان ، نعم ، سوف أظل طول مانا عايش أردد هذه الكلمة ، وأقولها بصوت مرتفع ، آه ، آه ، فمن الممكن أن تشفق هذه الكلمة على حالى ، وتقف محايدة لى أمام رب العالمين وتقول له : أغفر له يا إلهى ، فإنك أرحم الراحمين ، إنه يطلب العفو والمغفرة ، وبعدها أشكر هذه الكلمة ، وأقول لها أن تأتى معى فتجيب : لدى الكثير من الأعمال يجب تنفيذها ، سنتقابل ....

أشكرِك... .

الوردة الصفراء ؟!

كنت ذاهب مع أحد الأصدقاء إلى الشاطئ ، هذا الذى نجلس بجواره ، ونبدأ بالشكوى والعتاب مع الذات

الإنسانية ، وفى هذا اليوم ، وأنا ذاهب ، رأيت فتاة جميلة للغاية ، لا أعلم ماذا حدث ؟! ، لكى لا ترى عيناي غيرها بين المَارة فى هذه اللحظة ، وبالفعل تحدثت مع صديقي قائلا :

إنتظرنى ، سأتى على الفور ، وبعد ذلك ،

بدأت بالمراقبة، أتتبع خطواتها البراقة، فكانت كالملائكة ، ولكن مِن المدهش ، أن ينظر صديقى إدريس إليِ، وفى عينيه دهشة كبيرة ، وتركته هو ودهشته ، وذهبت ورائها ، وظللت ورائها ، إلى أن وصلت إلى حديقة كبيرة ، مليئة بالأزهار ذات اللون الأصفر الرائع ، ولكن ،

ما الذى جاء بى إلى هنا ؟! ، وأين ذهبت هذه الفتاة فائقة الجمال ؟! ، وظللت واقف مكانى ، لا أتحرك ، وأنظر فقط إلى جمال الأزهار ، وأنظر هنا وهناك ، لعلنى أجد أحد أحدثه ، وأسأله : أين أنا ؟! ، وأين تلك الفتاة الجميلة ؟! ، ماذا حدث ، وإختفت فجأة هكذا ؟! ، وفجأة ، رأيت فتاة جميلة للغاية مثل التى رأيتها ، وبعد ذلك، بدقيقة واحدة ، أتت واحدة أخرى ، وظل هذا الحال لمدة نصف ساعة ، كأن الأزهار ذات اللون الأصفر اللامع ، تحولت إلى فتيات جميلات ، وبعد ذلك ، لم أستطع الكلام ، كأن فمي أغلق أبوابه، نعم، فهناك العديد

من الأبواب (باب للطعام، للشراب، للحديث، للتقبيل إلخ.....) ، ومفتاحه الوحيد ، هو الرحيل عن هذا المكان ، ولكن كيف ؟! ، فأنا مُحاصر بالكثير من الفتيات الجميلات ، فبدأت بالكلام ، ولكن بتردد فى هذا اللسان الناطق ، وتحدثت قائلا :

أين أنا يا فتيات ؟! ، أنا أعلم ، أنى أخطأت ، بتتبع هذه الفتاة ، ولكننى لا أعلم ، لماذا إتبعتها ، أنا أسف على هذا ، وأتكلم وأقول أكثر من

هذا ، والفتيات الجميلات ، ينظُرن إلي فى ثقة ، وفى نفس الوقت فى خوف ، كأننى " دخيل " هذه الجنة ، وبعد إنتهائى من الكلام ، جاءت إلي ، نعم ، الفتاة التى رأيتها فى أول الطريق ، وبعد ذلك ، بدأت بالكلام ، وقالت :

مَن أنت ؟! ، ولماذا تلحق بي ؟! ، نظرت إليها قائلا :

إسمحى لي أن أسألك نفس سؤالك :

مَن أنتِ ؟! ، ولماذا جئت أنا إلى هنا ؟! ، لماذا ذهبت أقدامى ورائِك ، وقبل القدم ، هذا القلب الذى لم يفكر ولو للحظة أن يمنعنى من القدوم ورائِك ؟! ،

نظرت إلي ، بإبتسامة على وجهها وقالت :

أنا السراب الذى تبحث عنه منذ مدة ؛

أنا النعمة التى لم تعد لك ، وذهبت لأحداً آخر؛

أنا الحزن الذى تُعانيه إلى الآن ؛

أنا الإنسانة المجهولة ، التى تتوسل إليك الآن ، أن تبتعد عن هذا الطريق ، وتبدأ بالعيش من جديد ؛

أنا الإستيقاظ الذى سيحل بك الآن ، وجاء هذا الصوت :

محمد ، محمد ، إستيقظت من" حلم اليقظة" ، نعم ، أحلم وعيناي مفتوحتان ، ولكن منغلقتان ، وقال صديقى وهو مبتسم :

أين ذهبت ؟! ، أجبت :

ذهبت إلى الجنة ، ولكن لم أستطع البقاء كثيراً ، نظر إلي فى إندهاش ، فتحدثت مسرعاً :

لا عليك ، لنذهب.....

يُتبع فى المقال القادم.....

نعمة القلب ؟!

وأنا أكتب هذا المقال ، كان هناك قوتين بداخلى :

الأولى : تُريدني أن أتكلم بكل صراحة وصدق

أما الثانية : تُريدني أن أُزيف الحقيقة ، وأن أتكلم بالسوء أو لا أتكلم ، ولكن أين المفر ؟! ،

لا مفر من الحقيقة ، حقيقة أن هذا القلب ، عشق هذه الفتاة ، وضمها ضمن قائمة الأحباء ، نعم ، فالقلب أحب الكثير ، فهناك من يحبهم وينساهم مع مرور دائرة الحياة ، وهناك الدائمين داخل القلب وليس

بخارجه ، مُقسمين إلى شرائح كثيرة ، إن إختفت إحداهما ، شعُر القلب بالضيق ، وشعُر أيضاً بقروب الأجل ، نعم ، يريد الإعتزال ، التقاعد إلى الأبد ، إلى أن تأتى لحظة من اللحظات ، لحظة تستطيع أن تطلب أى شئ من خالق الوجود ، وحينها سأقول :

هل تسمح لي يا رب العالمين ، أن أُصارح هذا القلب ، وأتكلم بكل ما بداخله ، وتسمح لي أيضاً بأن أجعلها ملكاً لي ، ولكن هل ستوافق أم لا ؟! ، وأتكلم :

أنا أعلم أنكِ إنسانة جميلة ، مؤمنة ، وصافية القلب ، لأنكِ لا تستطيعين أن تكونى غير ذلك ، إذن لماذا أحببتك ؟! ، لماذا أُناديكِ بهذا الأسم ؟! حبيبتي ؛

يقولون أنكِ تُحبين المال ، وأنا أقول أنكِ تُحبين الله أكثر من أى شيئاً آخر ، لا تريدين أن يغضب عليكِ ، تريدين الاستقرار ، تحبين الحياة ، وأنا أحب إبتسامتك ، لأنها تُحييني ، وتجعلني أستنشق الهواء الممزوج برائحتك الإلهية ، نعم ، لأنها من عند الله ؛

يقولون أنكِ تُحبين شخص آخر ، وتريدين الزواج به ، وتذهبى إلى دنيا القراطيس ، وأنا أقول : إفعلى ما تريدين ، تزوجى ، أنجبى ، إفعلى ما شئتِ ، ولكن سيأتى يوماً ، نذهب فيه إلى عالم آخر ، وفى هذا العالم ، سأطلب منكِ شيئان :

الأول : أن تُحبيني بكل ما لديكِ من مشاعر ، بكل ما لديكِ من حب ، بكل ما لديكِ من نظرات .

الثانى : أن تُبقين على هذا الحب ، وتفتحين لي صدرك ، فبداخله شئ أُحبه ، وتجعليني أتذوق هذه الرائحة ، رائحتك ، يا لها من رائحة؟! ، لا تُوصف ؛

وبعد كل هذا ، أطلب من الله أن يعطيكِ السعادة ، وتظلين سعيدة مع من تحبيه فى هذه الحياة ، وأن يجعلك ملكتي فى الحياة الثانية ، فالأولى فانية ، والثانية باقية ، إنه القدر ، أبعدكِ عني فى هذه الحياة ، ليجعلك حبيبتي إلى الأبد ، فى دنيا الخلد ، دنيا الإستمرارية ، دنيا الله ....

المستحيل ؟!

ماذا أفعل ؟! ، إنها قوة لا أستطيع أن أقاومها ، لأنها تفوقنى بالكثير والكثير من الأسلحة ، أسلحة غريبة ، ليس لها مثيل ؛

سلاح الرغبة : يأتى إلي كل يوم ، وأستعد للمقاومة ، لأنه خصم يستحق المواجهة ، ولكن أين المفر ؟! ، فهو لا يُهزم إلا قليلا ، عندما يكون للشخص الذى يحاربه ، الكثير من أسلحة الدفاع ، مثل الإيمان ، الإرادة ، وغيرها من الأسلحة ، فقد ينهزم فى العديد من المرات ،

وحينها يصبح خصم ضعيف ، ليس لديه القوة الكافية للمواجهة ، فيطلب الإغاثة من أخيه ، وهو سلاح الشوق ؛

فيقوم بالمجئ إلي مسرعا لينقذ أخيه ، ويأتى ويقف أمامى ويقول : لن تفعل معى مثلما فعلت معه ، لأننى أقوى بكثير ، ولدى أهم شئ يجعلك تستسلم ، وتفعل ما أريد ، وهو العنصر الأقوى بالعالم ، تعاملت مع الكثير والكثير به ، ولكن لا يُهزم ، إنه " الرائحة " ، وأنا لا أستطيع أن أفعل شئ سوى المقاومة ، ولكن أُهزم ، ويأخذنى أسيرا له ، ويبدأ بفرض قوته علي ، ويطلب منى العديد من الأشياء ، أشياء مستحيلة أن تُنفذ ، ويقول : إذهب إليها ، وأعترف بما لديك ، وإلا العذاب هو مصيرك ، أجيب بكل ضعف : لا، لا أستطيع، أنت لا تعلم شيئاً، نعم، أعشقها، أعشق رائحتها الجميلة، فهى كالياسمين، تستنشق رائحته لتنسى كل ما يؤلمك، ولكن بالنسبة إلي هى الداء والدواء؟! ، ويتركنى ويذهب ، وأظل أيام وليالى فى دائرة العذاب ، ويأتى إلي مرة أخرى ، ومعه العديد من الأسلحة الخاصة ، يستعملها لكى يكسب الحرب ، فيغمرني بالعاطفة ، فأُصبح كالمجنون ، أتخيلها أمامى ومعها كل ما أحب ، من عينيها ، شعرها ، وأهم شئ رائحتها التى لا تقاوم ، وأظل أتنفس الهواء الممزوج بهذه الرائحة ، وأصبح كالمدمن ، نعم ، " مدمن الرائحة " ، لقد وهبها الله تعالى رائحة لا تقاوم ، لماذا ؟! ، سألت العديد من الأسئلة :

لماذا يهبها الله تلك الرائحة ؟! ، هل ليختبرني أم ليعذبني ويمتعني فى نفس الوقت ، فأنا أشعر بمتعة ليس لها حدود ، وفى الوقت نفسه أشعر بعذاب ليس له نهاية ، لأننى من المستحيل أن أقول لها أننى أحبها ، وأقول له هذا الكلام ، فينظر إلي ويقول : لماذا؟! ما السبب ؟! ، هل هى متزوجة ؟! ، هل هى تحب شخص أخر ؟! ، هل تمتلك

شئ لا يمتلكه غيرها من النساء ؟! ، وفى النهاية ، قال وهو ينظر فى عيني : من هى ؟! ، كأنه يعرفها ويريد أن أعترف لكى أواجه هذه الحقيقة ؛

حقيقة أننى عاشق لهذه المرأة ؟! ،

نظرت إليه فى ضعف وقله حيلة وحدثت نفسي : نعم، متزوجة، وأصبحت أُم، لإبنة جميلة مثلها ، حقيقة إن الزمن يمر سريعاً حدثت معى، نعم، فقد أحببتها ثلاثة عشر عاماً، منذ أن كنت صغيراً، لا أبلغ سوى عشرة أعوام، وعندما وصلت للثامنة عشر، لم أعد أعطى إهتماماً لها، لماذا؟!، هل نقول بسبب الدراسة؟!، هل بسبب التجاهل؟!، أم كلاهما؟!، تحدثت مع حالي هكذا، وبعد ذلك، نظرت إليه بعيون واثقة ممزوجة بالدموع الجافة، نعم، جافة، لا تسيل، كأنها معارضة لي وقلت :

أعفينى من الجواب.....

ملحوظة : أحداث هذه المقالة حقيقية، فقد حدثت نفسى كثيراً، لذا أُحب أن أقول لكل إنسان، إياك أن تخلق أوهاماً بداخلك، تجعلك عاجز عن إستكمال الطريق أيٍ كان، فقد توكل على الله، وأحسن الظن به، والسلام....

ألم الفراق؟!

وأنه فى هذا اليوم لم اعد استطيع أن أفكر ولا أميز بين الأشياء لأنها تركتنى وذهبت لتلاقى سعادتها مع أحد غيرى ، أهذا يكون العشق ؟!،نعم ، إننى لست احبها فقط ، إننى اعشقها لدرجة الجنون ،هذا الجنون الذى تتحاكى به الكتب ،وتقول عنه الكتاب فى رواياتهم ،احد ينقذنى من هذا العذاب إللى انا فيه ؟!، إنها لم تكن بالنسبة إلى مثل حبيبة ،إنها كانت بالنسبة إلى كالصلاة ،التى. لا يجب أن تتركها لتعرضت للعقاب سواء مادى أو معنوى، ولكن عقابى كان معنوى

فى نفسى ، نفسى التى حدثتنى كثيرا عنها ، ولكن لم أستطع أن أجاوب ولو بكلمة واحدة،أهذا يكون الحب ؟!، إننى كل يوم وفى مثل هذه اللحظة ، أتذكر كل ذكرياتي التى عشتها معها بحلوها ومرها ،إنها نعمة إلى قلبى، إنها نعمة الأمل ،نعمة التضحية ، نعمة الوفاء، نعمة الفراق، إنها نعمة !.

ودعونى أحدثكم عنها، إنها بالنسبة إلى كالروح، الروح التى توجد فى الخيال ولكن لا استطيع أن المسها، لأنها لم تعد لى، فأصبحت لأحد أخر،أحد لا يقدر أن يحبها مثلما كنت احبها ومازلت احبها، إنها تسكن في عمق قلبى، والعمق هنا يدل على شده التعلق، نعم، إنها فى أعماق هذا القلب الذى تحمل الكثير والكثير لكى يراها فقط، تمشى أمامه ذاهبه إلى المدرسة أو إلى المنزل، أهذا يكون الحب ؟!،أم ماذا يكون؟!، يا كل ما يسمعنى، إننى لم اعد أقدر على فراقها، إنها الأمل الذى أرى به المستقبل، بل إنها المستقبل نفسه الذى لا اعرف إلى أين سياخذنى، إنها قره عينى التى أرى بها الحياة بحلوها ومرها،إنها الندم الذى يولمنى إلى الآن، أهذا حب؟!، أم ماذا يكون؟!، يا كل ما يسمعني، إننى لم اعد مثلما كنت، أهذا بسبب بعدها عنى ام بسبب تفكيره بها طوال الوقت؟!، يا كل ما يسمعني، إننى أتألم من شده الفراق، اهناك أحد ينقذنى من هذا العذاب؟!، أظن لا يوجد أحد، لأنه لا أحد يستطيع أن يعيد لى قلبى الذى تشقق، وأصبح فى كل قلب من القلوب التى افترقت عن احبابها.

إننى أتحدث إليكم، وتوثيقها لكم من شدة شوقى لأن أراها أمامى، اريد فقط ان أراها واطمئن عليها،فهذا يكفينى.

يا كل ما يسمعني، إننى تائه في بحار الألم والفراق، فى بحار الشوق والرغبة، فى الحزن واليأس، أهذا يكون الحب؟!، أم ماذا يكون؟!، قولوا لى، هل انا احبها؟!، أم انا كداب؟!، هل انا اعشقها،أم اقدسها مثل الإله، هل انا موجوع من شده الفراق، أم انا تائه في بحر الهلاك؟!.

يا كل ما يسمعني، إننى لم اعد أقدر ان أعيش،اريد ان يأخذني الموت، قبل أن أذهب إليه،لم أعد أقدر على العيش في هذه الدنيا البائسة،التى لا أقدر على ان تفهم مشاعرى او احساسى تجاه من أحب، أهكذا تعاملنا الحياة بهذه القسوة، الطيبون، أهكذا تبعدنا الحياة عن الأحباء، وتترك لنا ذكرى نتذكر من خلالها الأحداث التى تاثرنا بها، ولم نعد قادرين علي المرور بهذه الأحداث مرة أخرى، او حتى نتذكرها.

يا كل ما يسمعني، لا، يا قلبا تألم وتوجع من عذاب الفراق، اتحدوا معى، واسونى فى محنتى، يا كل ما يسمعني، إننى اليوم اشعر بإحساس غريب، احساس يبعدنى عن الحياة، احساس ليس لديه حنين او أمل فى الحياة التى تملئنا باشواكها، إنه احساس ليس لديه رغبة في دفعى إلى الأمام حتى استطيع ان أقاوم العقبات التي أحدنا من كل جانب،إنه الإحساس الذى اشعر به،إنها الوحدة، إننى اليوم أتذكر الاحداث التى مرت لى فى الماضى، أتذكر احلامى وطفولتى البريئة التي كنت أعيشها وهى كانت بجانبى فى كل وقت وفى كل مكان أذهب إليه، البيت، المدرسة،حتى النوم، إنها كما قلت من قبل، إنها نعمة، إنها الجمال والقمر والشمس والنجوم، إنها دقة من دقات هذا القلب الذى يعانى كل يوم بسبب هذا الفراق، ماذا يمكننى أن أفعل؟!، هل أذهب إليها واقول لها لماذا تركتني وجدى؟!،لماذا ذهبت بعيدا

تركتني اعانى واعانى من عذاب الفراق، الفراق الذى أصبح جزء من هذا القلب، أصبح هو والقلب متحدان شدة، كيف أعيش وأنا اعانى من كل هذا العذاب، وبعد كل هذا اقول لكم، هل انا احبها ام انا يخدع نفسى، نفسى التى تتعذب كل يوم من هذا الفراق؟!، يا كل ما يسمعنى،إننى اعانى، إننى أتألم من هذا الحب، وفى نفس الوقت يداوينى، إننى أكره هذا القلب الذى احبها، وفى نفس الوقت احبه لأنه احبها.

يا كل ما يسمعني، إننى أتألم، اغيثونى، اغيثونى من كل هذا، ولكن هل سيتوقف القلب على أحداث هذه الضجة التي يحدثها كل يوم بسبب هذا العذاب الذى أعيشه كل يوم، يا كل ما يسمعني، إننى سوف انتهى من كل هذا العذاب بقول كلمة احبك،

هذه الكلمة ستحى الأمل الذى انقطع عندما انفصلت عنى، وتركتنى وحيدا، وداعا يا كل قلب عانى من كثرة الفراق والحب،

وأخيرا اقول لها يا نعمة قلبى انا الآن وحيد.

س : فاهم ؟! ، ج : لا ، مش فاهم ؟! .

مين أين أبدأ ؟! ، قال: إبدأ من الأول ، لا لا ، أحسن إننى أبدا بمقدمة عشان أعرف أكتب ؟ ، قال : أنت حر أبدا زى ما تبدأ ، أنت زعلت أنا بتحاور معاك ؟ ، قال : لا ، مزعلتش ، بس تعبان شوية ومخنوق ؟ ، مين إيه ؟ ، قال : ملكش دعوة ، هتبدا ولا هتعمل ايه دلوقتي ، طيب حاضر هبدا :

دار هذا الحوار وهذه التساؤلات بينى وبينه ، إنه الذى يوجد بكل إنسان سواء كان فاسد أو عادل ، طيب أو خبيث ، إنه ، لا ، لن أقول ؟! ، وبدأ الحوار والتساؤلات بينى وبينه ، وبرده مش فاهم ؟! :

أعزائي المشاهدين ، ومن يسمعنا من كل مكان ، لقد حدثت العديد من التطورات في البلاد ، لقد ارتفعت الأسعار ، حتى أصبحت تشكل أزمة بالنسبة للمواطن ، وأيضا أصبح هناك الكثير من المشروعات

التى تقام وسوف توفر فرص عمل للشباب ، وسوف تقضى على البطالة الزائدة في البلد ، و ..... ، وفجأة حدث ما يلى : يلا يا كداب ، مش وقتك ، عايز أخلص الحلقة ، بس انت كده بتضحك على الناس ، مش مهم ، المهم انا باخد المرتب كامل ولا لا ، بتاخده ، خلاص يا بنى بقا ، أرجوك ، عايز أخلص الحلقة ، ماشى هسيبك ، بس لازم ترشينى بوجبة غداء حلوة كده ، حتى أنت ، طيب حاضر امشى بقا ، خلاص ، تمام ، كمل ....

أنت كنت فين ؟ ، معلش يا بابا ، إتأخرت عليك ، كنت معزوم فى عيد ميلاد واحد صاحبى ، الساعة 2 بالليل ، أنت بتكدب عليا يا ولد ، لا والله يا بابا ، أنا بقول الحقيقة ، طب ، أدخل ، وحسك عينك ، تتأخر تانى ، ساعتها أنت عارف أنا هعمل ايه ، حاضر يا بابا ، أنا أسف ، وبعدها يحدث هذا الحوار بينهما :

أنت كدبت على أبوك ليه ؟ ، يا عم كبر دماغك ، يعنى كنت عايز أقوله الحقيقة ، أنا فين ، وبعمل أيه ، فهمتك يا ابن ال ... ، بس ده حرام ، ربنا يسامحنا بقا ..

مالك يا بنى ، إيه مشكلتك ؟ ، والله يا مولانا حاسس بخنقه ، ونفسيتى تعبانه اوي ، حاسس إننى متقيد بسلاسل ، معرفتش أروح فين ، جيت بيت ربنا ، احكيله على مشاكلى ، يا بنى ربنا لازم يبتلى عباده ، عشان يتوبوا ويستغفروا ، آمال هو عمل الجنة والنار ليه ، عشان إللى تاب وأصلح يدخله الجنة ، ويجزيه على عمله ، وعمل النار عشان العاصى والطاغى ، إللى بيموت على أفعاله تلك ، فى النار ،

خالد فيها ابدا ، قوم كده ، اتوضا وصلى ركعتين لله ، وإن شاء الله خير ، وبعدها حدث هذا الحوار بينهما :

ليه عملت كده يا مولانا ؟ ، كله فى ميزان حسناتى ، وربنا يهدى العاصى ، عملت كده عشان الحسنات بس ، آه طبعا ، وربنا يغفر لنا ويرحمنا ، أمين يارب ..

وبعد هذه التساؤلات والأجوبة التى حدثنى فيها ، قلت له : لماذا تقول لي كل هذا ؟ ، رد على : لأننى موكل بهذا ، أن أخبرك بكل ما يدور فى الحياة ، لكى تعرف الصح من الخطأ ، بس أنا عايز اسألك : أنت فهمت حاجة من إللى قولتهولك ؟ ، قلت وأنا شارد كاننى أفكر في جواب ، ولكن لم أجد : لا ، مش فاهم ؟ ، وبعدها قلت لنفسى ، هناك من يفعل أشياء وفى المقابل يريد حسنات؟ ، وهناك من يفعل أشياء وفى المقابل يريد المال ؟ ، لكن أنا لماذا أكتب ، فاننى لا احصل على مال ، وبالنسبة للحسنات ، هل سيحاسبنى الله على ما أكتبه أم على ما أفعله ؟! ، فلم أجد أجوبة على الأسئلة ؟! ، وفجأة ، جاء إلى الصوت الذى ياتى الى دائما وطرح نفس السؤال : فاهم ؟! ، وكان الجواب : لا ، مش فاهم ؟! ..

أغصان الزيتون، أغصان السلام ؟!

كعادتى، سافرت بخيالى إلى أرض السلام ،اورشليم ،وتوقفت بجانب شجرة جميلة ،ولكن لم اتوقف بسبب جمال اغصانها، ولكن من جمال وبراءة المرأة التي تقف بجانبها، ذات العيون البنية التى تتصف بالاخلاص والوفاء والنقاء الداخلى ،كما يقول علماء النفس ،ولكن هل يكذبون؟!، لا، نظرت إليها والى الوشاح الاخضر الذى ترتديه ،ولكن، هى شاردة بعيونها وروحها ، فأردت ان اقول: يا ذات العيون النقية، هل أستطيع الجلوس معك قليلا، ولكن لم استطع، وتلقيت، (بالعامية؛ طوبة فى ضهرى لما كنت بفكر بالكلام) ،وقالت: اجلس معى قليلا ،فجلست على الفور وتحدثت: ما أجمل اورشليم، جميلة بكل مافيها من أغصان، بيوت،اشخاص، قلت هذا الكلام لكى أجذب اهتمامها الىّ ،ولكن بلا جدوى؛ وشردت قليلا ايضا، وبعد ذلك صاحت قائلة: أرضى مقدسة، جميلة بكل مافيها من حب للارض الخلابة التى يتصارع عليها شعوب العالم ،الى اطفالها الشجعان الذين يقفون أمام العدو بكل بسالة وشجاعة، ونسائها سواء كانت الجميلة الشابة ام العجوزة ذات الشيخوخة المفرطة التى تمتلك حكمة ممزوجة بغضب يحمل فى طياته شهادة مكتوب عليها (ان ينصركم الله فلا غالب لكم)؛ واكملت: انها ارضى ياسادة ،انها

الأرض الذى جاء عليها سيد الخلق محمد" صلوات ربى وسلامه عليه"، فى رحلته الخالدة وصلى بجميع الانبياء والمرسلين بمسجدها الشريف، يكفى اننا نملك الحب بكل معانيه، اوله كآخره (حب الجهاد في سبيل الله)، لايوجد حب اسمى من ذلك، انها أرضى ياسادة، التى تتلخص في كلمتين (الحرب والسلام)، وعلى مر الزمان ،وظلت عيناى تنظر اليها عندما بدأت حديثها الى ان أنهت كلامها بصوتها الذى يحمل(بحة)، تجذب أى انسان، فالإنسان دائما محتاج منذ بداية خلقه، وظلت عيناى ثابتة عليها، إلى ان افقت من غيبوبتى وسألتها: وماذا بعد يااجمل الجميلات؟! وماذا بعد القصائد والكلمات المعبرة والحزن والشفقة والكثير من المعاني الأخرى الممزوجة بحب الوطن؟!، أين الفعل؟!، نظرت الىّ بغضب شديد وتركتنى وذهبت، وعاتبت نفسى قائلا: لماذا قلت هذا الكلام ،لم اقصد جرحها بالكلام، ولكن اندفعت قليلا بالكلام القاسى، لماذا؟!، تأثرت بكلامها وأردت ان افعل شئ ولكن...، لابأس، لعلنى ألقاها مرة اخرى بمخيلتى فى رحلة جديدة؛ ذات الوشاح، إلى اللقاء ،للمرأة المحتلة شعبها..

المرأة؟!

عندما أتكلم عنها، أصف كل مايوجد بهذا الكون من حب، جمال، رائحة، خداع، اغراء، إنها كائن خُلق من ضلع اعوج، ولكن لا تستقيم الحياة بدونه، ملساء، ناعمة، محبة للحياة، مرحة، جميلة فى ابتسامتها، رائحتها الجسدية التى لا تقهر، أنعم الله عليها بهذه الرائحة الأخاذة لتعمير الكون، ولكن كيف؟!

بارتباطها مع الكائن الآخر الذي يعد ونساً لها، لاتستطيع الاستغناء عنه، وهو كذلك لايستطيع الاستغناء عنها، وإن كانت هى حواء الواقع، نعم.. فهناك حواء الخيال، لكلٍ منا أنثى بخياله، أنثى يجعلها كالملائكة، كاملة بخياله لعدم كمالها فى الواقع، لان الكمال صفه الهية فالكمال لله فقط سبحانه وتعالى، الذى انعم على هذا الكائن بجليسته التى تجعل وحدته حرمانه ينطفئان؛ فعندما يشعر هذا الكائن بحرمانه، يتجه لخياله الرائع الذى يصفها باجمل الجميلات ، نعم(متعة الخيال لايضاهيها متعة)، وبذلك تبقى هذه الانثى هى الوعاء الوحيد للحرمان الذى يشعر به هذا الكائن، فقد أنعم الله عليه بهذه الجميلة لإحتوائه والقضاء على الحرمان القاتل، ولكن السؤال: ماهية هذه الانثى؟! ،ماهى احتياجاتها؟!، الجواب: انها كائن خلقه الله لجعله ونيسا لابو البشر آدم ،لهذا فقط!، لا ،انها كائن جعله الله سببا للوجودية، للاختبار، للحياة التى نعيشها الآن، فلكل سبب مسبب لذلك جعلها الله سبب للوجودية ،والمسبب(النتيجة)جعلها الله فى الانتظار، نعم، وبهذا يكون ابو البشر مع جليسته فى الاختبار وتبدأ حكاية هذا الكون بكل مافيه من عبادة، اخلاص لله، ومابين خداع وكذب ونفاق وارتكاب للفواحش ،الى اجل مسمى لايعلمه الا الخالق، وبهذا تكون الاجابة الأولى ،اما السؤال التانى فإجابته: نعم تبقى لهذه الانثى

احتياجاتها، فقد تشعر بالاحتياج الجنسى، فتريد الاحتواء من هذا الكائن القادر على تلبيه هذا الاحتياج، وان لم تشعر بالرضا الكافى ،فهى بطبيعتها متمردة ولا تدرى هى نفسها ماسبب هذا التمرد؟!، فقد تغضب فى بعض الأحيان لأتفه الاسباب او بدون سبب، فقد خلقها الله ناعمة جميلة ولكنها غير مفهومة، لااحد يستطيع فهم هذه الحواء ولا حتى ذاتها، انها الحنان بكل تفاصيله فيحتاج لها وتحتاج له، فتتلخص ذاتيه هذه الحواء بالنسبة لادم بالمقولة الشهيرة(هناك أشخاص عندما تلتقى بهم ،تشعر كانك التقيت بنفسك)؛ يشعر هو بذلك وهى ايضا تشعر بالمثل، تشعر بهذا الإرتباط ولكن يظل الاحتياج، فاحتياجها دائم للابد، وإن تم تشبعه بالحد الكافى عاطفيا وعقليا وجنسيا..الخ؛ ولكن تظل ثغرة الاحتياج الكامل فى خيالها، ولكن كما ذكرنا؛ لايوجد كمال فى حياة ناقصة، وبذلك يظل الاحتياج الكامل، وتستمر الحياة بواقعها الناقص...

الى اللقاء...

الموت والشيخوخة والهوية ؟!

تعمدت البدء بالنهاية ، نعم ، فنهاية الوجودية ، هو الموت ، الموت هو النهاية ، وفى نفس الوقت ، "البداية " ، فهو نهاية ألم الوجودية وعذابها ، وبداية الخلود الدائم فى حياة أخرى ، وأبدأ حديثى وأقول :

مَن أنت أيها الإنسان ؟! ، يجيب :

أنا أقوى الرجال ، لقد وصلت إلى أعلى المناصب ، لقد أصبحت أغنى الأغنياء ، وسعيد للغاية ، يقول هذا الكلام ، وأُناس كثيرة بجواره ، وعندما يبتعدون ، يحدث على الفور هذا الحديث بيننا :

أنا : سأسألك مرة ثانية : مَن أنت أيها الإنسان ؟! ،

هو : أنا العبد الفقير من كل شئ ، من السعادة ، الغِنَى ، الرحمة ، لقد أصبحت مقيد بسلاسل" العظمة " ، التى تتجزأ منها كل هذه الأشياء ، فأصبحت محبوس فى " دائرة " من " التظاهر والخداع " ، هذه الدائرة ، هى التى تُحركنى كيفما تشاء ، فإن تذكرت : من أنا ؟! ، ذهبت على الفور إلى أحد البيوت الفقيرة ، أو بمعنى أفضل مَن تجلب (قوت يومها فقط من أجل الإستمرار فى الحياة)، وجلست مع أفرادها ، وتناولت الطعام معهم، نعم، إنهم رغم بساطتهم كرماء وجلست قليلا للتحدث مع هؤلاء الأشخاص ، لعلنى أجد من يخفف عنى بمساعدته ، ولكن أين المفر ؟! ، يدق الباب ، ويفتح صاحبه ، فيجد أتباعى ، نعم ، شركائى فى " الدائرة " ، يأخذني على الفور ، ويقول :

لا تأتى إلى هذه القذارة مرة ثانية ، يقول هذا ، وهو يعلم ، أنه قبل عدة أعوام ، كان منهم ، وبعد عدة أعوام ، أصبح منها ، نعم ، مِن أتباع " الدائرة " ، ويظل الحال كما هو ، إلى أن يصل هذا الإنسان إلى سن الشيخوخة ، فيشتاق إلى الماضى ، فيذهب إليه ، ولكن هذه المرة ، لن يأتي إليه أحد ، لأنه أصبح من تعداد المرحلة الأخيرة ، نعم ، سيُلاقى الموت ، بعد عدة مشاهد من مشاهد الحياة ، ويصل إلى المرحلة الأخيرة ، ويبدأ بتكرار هذه الجملة : " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" ؛

وأخيراً ، سأقول عدة كلمات :

سوف يمر أكثر البشر ، بهذا التسلسل ، ولكن ليس بمحتوى هذا التسلسل، فهناك أيضاً الكثير مِن النوع الأخر، نعم، (هذا النوع الذى يملك مِن العشق الإلهي كماً هائلا، نعم، لا يتكبر، لا يظلم، لا يفسد،

لا يقلل مِن شأن الآخرين، يعلم معنى هذه الدنيا، لذلك كيف يسقط فى هذا البئر؟!، وأكمل الحديث :

تحقيق الذات ، ثم الوصول إلى الشيخوخة ، التى ستجعلك تتذكر ألم الوجودية ، وتدرك الحقيقة العارية لهذا الكون، أي الفناء الوجودي، نعم، ليست خالدة، فكلً مِنا يحاسب نفسه دائماً لأنه مدرك لهذه الحقيقة، ثم بعد ذلك " الموت " ، وأختتم الحديث بقولي :

(كُلُنا مذنبون) ، سأكتفى بهذا ، إلى اللقاء .....

أنـا وعينـاي والعيون البريئـة ؟!

اليوم وفى هذه اللحظة ، وأنا أكتب هذا المقال ، سوف أُغازل العيون البريئة ، سوف أخبرها عن ما بداخلى تجاهها ، وإن لم تسمعنى ، وأنا أعلم أنها لن تسمعنى ، ولكننى سوف أكتبها ، سوف أخاطب

أحاسيسها ، لأن لكل عيناً بريئة عالمها الخاص بها ، فهناك العين التى توحى بالبهجة والسرور والأمل ،

وهناك من توحى بالحزن واليأس ، وهناك من تجمع بينهما ، ولكنها في النهاية هى نفسها ، لا تقتبس من أحد ، لا تحقد ، إنها المثالية ، بل وأكثر من ذلك من معانى توحى بالحب والصفاء والأمل بكل أنواعه ، فهناك الأمل المنتظر ، والأمل الذى أتى ، والأمل الذى لم يأتى ولن ياتى أبداً ، لأنه ليس هنا ، هذا النوع من الأمل يوجد عند الذى وهبنا كل ما نملك في هذه الدنيا ، الله ، هذه الكلمة التى عندما ينطقها الإنسان ، يشعر كأنه بين السماء

والأرض ، فى مكان معزول عن العالم ، يذهب إليه لكى يستنشق هواء نقياً لا مثيل له ، وينظر إلى أشياء لا وجود لها في الدنيا ، فإن هذا الشعور ، وكل هذا الجمال ، لا يشعر به إلا من يمتلك تلك العيون البريئة ، إنها العيون التى تنظر إلى اليأس وتقول له :

سوف أتغلب عليك ، وأُحقق ما أتمناه ، وسوف أذهب إلى أخوك الذى تكره ، وتحقد عليه دائما ، نعم ، سوف أذهب إليه فى يوم من الأيام ، وأقول له وأنا فى منتهى الشجاعة والإيمان :

لقد نجحت أيها الأمل ، نعم، لم أسمع كلامه وتركته، نعم، أخوك، لأنه لا يحبنى ، إنه لا يحب أحداً إلا واحداً

" اليأس " ، نعم ، إنه يحب نفسه أكثر من أى شيئاً آخر ، ولكن أنت تحب الآخرين ، وتجعلهم ينظرون إلى الأمام ويقولون فى صوت واحد " نحن قادمون " ، يا أيها الأمل إننى أحبك؛

وعدت مرة أخرى إلى تلك العيون البريئة ، وبدأت بمغازلتها مرة أخرى وتحدثت قائلا :

لماذا أحدثك الآن ؟! ، لماذا أُغازلك ؟! ، هل لأننى أمتلك تلك العيون ، فلهذا أخذتني إليكم ، وتركتنى فى منتصف الطريق ، لا أعلم أين أنا ؟! ، وكيف أعود إلى عالمى مرة ثانية ، فجئتما أنتم إلي ، ومعكم أصدقائكم ، فلم أستطع أن أقاوم سحركما الذى يُشع من عينكما التى كادت أن تقتُلني؟! ، ألهذا السبب أتغزل بكم ؟!،

لا ، لا أعتقد ، إننى أظن أننى فعلت ذلك لكى أحصُل على تصريح لدخول عالمكم الخاص بكم ، هذا العالم الذى يوجد فيه ما لا يوجد في عالمى ، وأيضا أريد أن تسمحان لعيناى بالدخول ، فإنها مثلكما، (العين)، صافية الشعور ، جميلة فى تعبيرها ، إنها مثلكم تماماً ، هل تسمحون لنا بالدخول ؟! ،

ودخلت إلى هذا العالم ، فرأيت ما لا يتخيله عقل ، لقد رأيت الكثير من المياه ، الكثير منها ، فعندما أبكى تتساقط الكثير من المياه ، لكننى لم أسأل يوماًمن أين تأتى هذه المياه ؟! ، ولكن الآن أدركت كل شئ ، وأنا فخور بكونى عضو من أعضاء هذه القطرات ، فكل قطرة ماء تحتوى على الكثير من القصص والحكايات ، فهذه القطرات هى تصريح بقاء الإنسان وإستمراره في حياته ، والحمد لله أنا أملك هذا التصريح ، وعندما

أفقده ، حينها أكون قد حصلت على تصريح جديد ، ليس هنا ، بل هناك عند خالق الوجود ، فى الحالتين،

أنا فائز ، وفى النهاية أقول :

الحمد لله لأننى أمتلك تلك العيون .....

إهداء إلى كل من يمتلك العيون سواء ذكر أو أنثى ، لأنهما يشعران بنفس الشعور ، إنهما بكل فخر واعتزاز العيون البريئة.

الحياة ؟!

فى هذه الحياة ، يوجد العديد من الشخصيات البارزة التى سمعنا عنها ، وشخصيات لم نسمع عنها بعد ، وهناك المعارك التى خاضها الأقدمون سواء إنتصروا فيها أو إنهزموا ، ولكن هناك معركة كبرى ، معركة تُحتم عليك أن تخوضها ، إنها " معركة الحياة" ؛

هذه المعركة التى ستُحتم عليك ، أين ستبقى بعد ذلك ؟! ، أين سترتدى تاج الإنتصار ؟! ،

أو أين ستدفع الثمن ؟! ، ثمن هزيمتك ، هذه المعركة يرأسها ؛ عدد من السحرة ، وأُناس بلا ضمير ، وهم المسئولين الفاسدين ، لا ، لن أقول الفاسدين ، فمن الممكن أن ينعدل الفاسد ويصبح عادل ، ولكن هؤلاء ، إنهم عبيد الجسد ، المال ، الذل الذى يعتقدونه شرف ، لأنهم لا يدركون معنى هذه الكلمة " الشرف " ؛

فهناك من يأخذ هذه الكلمة على عاتقه ، ويقوم بحبس زوجته وأولاده فى البيت ، ويعتقد أن هذا شرف ،

" شرف المعاملة " ، أسف يا أخى ، ليس هذا ما يسمى بالشرف ؛

وهناك من يقوم بالحكم على المتهم بالإعدام شنقاً أو بالسجن المؤبد ، وهو يعلم أنه برئ ، ولكن يجعل ضميره ميتاً لبعض الوقت ، إلا أن تنتهى هذه المرحلة ، ويُشنق هذا الإنسان لسبب أو لآخر ، إحداهما أنه إنسان يحب أرضه ووطنه إلى أبعد حد ، فالوطن بالنسبة له هو " شرفه " ، لا يمسه أحد بسوء ، وإن فعل أحد ، يضحى هذا الإنسان بحياته من أجل الدفاع عنه ، وإنسان مثله يعلم ذلك بل وأكثر ومع ذلك يحكم عليه ، لأن ضميره ذهب مع أحد الأصدقاء إلى أحد الأماكن الميالة له ، إلى أن تنتهى هذه المرحلة،

أسف يا أخي، ليس هذا ما يسمى بالشرف؛

وبعد كل هذا ، أقول أن معجزة مُعلمى الخالدة ، هى الدواء الوحيد ، إنها " السلام"، إنه (مُحمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف) ، ومعجزته (القرآن الكريم)، نعم (السلام)،

وبهذا الدواء تصبح روح الإنسان صافية تجاه كل شئ ، سالمة من جميع أنواع الأتربة ، نعم ، فهناك الأتربة التى تغطى قلب هذا

الإنسان ، وتزرع مكانه قلباً آخر ، لا يختلف عنه إلا فى أمراً واحداً وهو " الحب" ،

فهذا الأمر يتجزأ منه جميع أنواع الصفاء الوجدانى ؛

وهناك نوع آخر من الأتربة وهو " الخوف " ، الذى يجعلنا نرتكب الكثير من الأفعال بدافع الخوف ، جميعُنا بدون إستثناء ، وهذا النوع أخطر الأنواع ، ودوائه فى معجزة مُعلمى الخالدة "السلام" ، لأنها تجعلك لا تخشى أحداً سوى المُعلم الأكبر ، إنه المعلم الأوحد ، لا يوجد أحد مثله ، ليس كمثله شئ ، إنه الكامل المكمل من جميع أنواع الكمال ، إنه الكمال بذاته ، إنه " الله " ، وإن أصبح هذا القلب يملئه الصفاء الوجدانى ، أصبح هناك دواء لكل هذه القوانين التى تجعلنا نفعل أشياء لا نريدها ، وبعد ذلك سوف ندرك المعنى الحقيقى لهذه الكلمة (الشرف).....

بين الحب والتناقض ؟!

منذ عدة أيام ، بدأ القلب بالدق على الطبول بطريقة لم أتعود عليها من قبل ، وبدأ بالضجيج المستمر ، فشعرت بالألم الشديد ، فحدثت نفسى قائلاً :

هل نحدثه أم نتركه كى يهدأ بمفرده ؟! ، لم تُجيبَنى هذه المرة ، هل هى مستاءة منى أم ماذا ؟! ، وذات مرة ، فى ليلة من الليالى ، تذكرتها ، نعم ، العيون البريئة ، والإبتسامة الناعمة ، ولكنها تحرق كل من ينظر إليها ، وكنت أنا إحدى ضحاياها ، ولكن أنقذت نفسى فى اللحظة الأخيرة ، وأخذت عهد على ذاتى ، أن لا تحدثنى عنها ، مهما دار الزمان ، وطال الإشتياق ، ولكن أين المفر ؟! ، فنحن البشر

، قد خلقنا الله ضعفاء ، والأقوى بيننا ، عندما تأتيه هذه اللحظة ، تحركه كيفما تشاء ،

وتُشن الحرب ، وتكون الأطراف متباينة ؛

فالأول " الجانب العقلى " ، الذى يستعمل عقله حتى لا يخطئ ، وإن فعل ، يعود مرة أخرى للإستعمال العقل ، وهذا الجانب ، يمتلك الكثير من القوة ، ولكن هناك الجانب الآخر :

هذا الجانب الذى ينتصر دائماً ، إنه الجانب الذى يخضع له جميع البشر بكل ما فيهم من قادة ، ورؤساء ، وأسياد ، وأقوياء ، وضعفاء ، إنه" الجانب العاطفى " :

الذى يعلوه" الحب " ، ويقوم بجمع ذخائره الأخرى، مِن " رغبة ، شهوة ، وغيرها من الأمور المستعملة فى هذه الحرب ، ويقوم الطرفان بالنزاع ، فأحياناً ينتصر الطرف الأول ، وأحياناً أخرى ، ينتصر الآخر ، ولكن النسبة المئوية الأكبر لهذه الحرب تعود للطرف الثانى ، لأن الحب يغزو كل البلاد ، فعندما يدخل أياً من البلاد ، يمتلك قلوب أفرادها ، ويجعلها تفعل ما يريد ، يحركها كيفما يشاء ، فهناك من يعارضه ، لعدم قبوله لإحدى شروطه ، فيستخدم هذا الطرف ، أقوى أنواع الأسلحة " الشهوة والرغبة فى الحصول على الشئ مهما كان الثمن " ، ولكن هذا الإنسان ، يمتلك قلباً مليء بالمشاعر التى تفيض بالنور الخالى من جميع أنواع الرجس ، مهما كانت أنواعه ، ولكن أين المفر ؟! ، يظل هذا الحب ، فاللحب الكثير من الوجوه التى تستطيع أن تخضع العالم تحت سيطرتها ، وبهذا ، لن يكون هناك " دفاعات " ، إلا التقرب إلى الله ، لكى تتخلص منها ، ومع ذلك يريد الله أن يختبرك ، فيبقى معها لبعض الوقت ، لكى يراك

: ماذا ستفعل ؟! ، ولكن سأقول بكل صراحة : نحن نخسر دائماً " ، لأننا أمام الرغبات المُلحة ، نضعف ونستسلم لبعض الوقت ، ونعود من جديد كما كنا ، ويستمر هذا الوضع ، إلا حين إنتهاء الحرب ، ولن تنتهى ، إلا إذا إستسلمنا للأبد ، ولن يحصل هذا أبداً ، إذن ماذا نفعل ؟! ، نترك الأمر هكذا ؟! ، لا ، لن نفعل ذلك ، ولكن نلجأ إليه ، نعم ، نُخبره بما نُريد ، ونترك الباقى عليه ، نجعله يُدبر ما يشاء ، فنحن فى التفكير ، والخالق المبدع فى التدبير ، ولكن بهذا نطرح أهم سؤال :

هل ستنتهى الحرب ؟! ، الجواب : لا ، لن تنتهى ، والسبب لعدم إنتهائها ، سيقول البعض ، أنه إختبار ، لكى يعلم من الصالح ومن الفاسد ، وتتكرر الألسنة الناطقة بكلام مثل هذا ، ولكن هناك سبب خفى ، لا يعلمه أحد من العباد ، ولن نعلمه ، لأنه خاص بالذات الإلهية ، إنها حكمة ، لا أعلم المغزى الكامل منها ، ولا حتى مُرادها الكامل ، لا أحد يعلم شئ ، ولكننا نعلم شيئاً واحداً : أن لا إله إلا الله ، والباقى لهذه الحكمة لا نعلمه .....

عذاب ؟!

فى كل مرة ، أمسك القلم ، أقول لنفسى ، خلاص بقا ، كفاية عذاب ، كفاية خيال ، كفاية ، وأظل بتكرارها ، ولكن لا يطاوعنى القلم ، ولا تطاوعنى نفسى بمنحها قسطا من الراحة ، كأنها تقول لي : عذبنى لكى أرتاح ، كأنها إرتكبت ذنبا كبيرا ، وتريد التكفير عنه ، ومن يعلم ، قد تكون مذنبة أو بريئة أو الإثنين معا ، لا أعلم ، لأنها تخاصمنى فى كثير من الأحيان ، وتظل مبتعدة عنى ، ولكن حينما أقوم بالكتابة ، تأتى إلي مسرعة ، وتقول وفى عينيها حزن وألم شديد : عذبنى لكى أرتاح ؛

وأتكلم عن الحب ، وأقول :

أنا بحبك ، إنتى مين ؟! ، ترد وتقول : أنا الحب ، وأنت حبيبى ، ويسمعنا أحد الأصدقاء ويقول : متخفش ، مش هقول لحد ، وأثق به ، ولا أتكلم ، كأنني إرتكبت ذنب ، ولا أريد أن يعرف أحد ، حتى لا أعاقب بكلامهم السئ على من أحب ، ولكن أين المفر ؟! ، لا أجده ، وحينما أجده ، يكون وراء ستار ، ستار من العذاب ، وحينما أجتازه ، أجد الكثير ، والكثير منه ، ينظرون إلي فى تمعن شديد ، وثقة فى النفس ، ويقولون فى صوت واحد : أنت مستعد ؟! ، وكالعادة الجواب : أنا مستعد ، ولكننى كالعادة لست مستعد ، كداب ، ويظل الحب مستمرا ، إلا أن يأتى الحاجز الذى يعوق الحب دائما ، ويقف هذا الحاجز أمام العاشق ويقول : أنا مش معاك ، يبقى خلاص ، حبك فانى ، ويجيب العاشق : معى الأغلى منك ، يقول الحاجز : وما هو ؟! ، يجيب العاشق : معى الحب بجميع أنواعه ، من الأدنى إلى الأعلى مرتبة ، يجيبه الحاجز : لكننى الأكثر طلبا بين الناس ، يتعاملون بى فى شتى مناحى الحياة ، وجميع أنواعك التى تمتلكها ، تريدنى دائما ، لأن الحب لن يكتمل بدونى ، أنت تعلم ذلك ، ويجيب العاشق : أنت ليه على طول ، بتقف حاجز قدام العشاق ، وتجعلهم يتفرقون ، لماذا ، لماذا أيها المال ؟! ، ويجيب : لأننى طماع ، أحب الطمع ، وأنتم أيها البشر ، تحبون الطمع إلى أبعد حد ، وتطرقون بابى دائما ، وتتوسلون إلي دائما ، وتريدون الكثير والكثير حتى وإن كان معكم ما يكفيكم ، ولكن أين المفر ؟! ؛

وأتكلم عن الموت ، وأقول :

ماذا عساي أن أقول ؟! ، لقد أخذ كل الأحباء ، وسوف يظل يأخذ الكثير والكثير إلا أن ينتهى هذا العالم ، ولكن معنى هذا أننا يجب أن نحزن على فراقهما أم نفرح ، لأنهم رحلوا إلى أرحم الراحمين ، رحلوا لكى يعطيهم ما لا يستطيعوا أن يحصلوا عليه وهم أحياء ، ويظل يعطيهم بلا توقف ، ولكن هل يستطيع الإنسان أن ينتصر فى معركته مع الحياة أم سيرفع الراية ، راية الاستسلام ، وبعد ذلك يندم على رفعه هذه الراية ، لأنه يعلم أن هذه الراية ستجعله يعيش ، ولكن لمدة معينة ، وليس إلى الأبد ، ويعود مرة أخرى لكى يحارب ، ولكن مرة أخرى يرفعها ، ويظل الوضع كما هو عليه ، وبعدها ، يعود إلى منزله الأبدى ، ولكن السؤال : هل سيكون مليئ بالأنهار والخيرات أم سيكون مليئ باللهب ، نعم ، الكثير منه ؟! ، وبعد كل هذا الكلام ، وكل هذه التساؤلات ، تظل تلح علي ، وتقول : عذبنى لكى أرتاح ، وأنا كالعادة ، لا أفعل شئ سوى تنفيذ طلبها ، لكى ترتاح ، ولكن هل سيأتى يوما تقول فيه : كفى ، كفى ، نعم ، من المؤكد أنه فى الطريق إلي ....

عذاب ؟!.

الأميرة العارية ؟!

فى بداية حديثى ، أرحب بكِ أيتها الأميرة ، سوف أتحدث عنكِ الأن ، وسوف أوصفِك بكل ما بداخلى من إعجاب ، إعجاب قد يقتلني لو أفصحت عنه ، وسوف يقتلنى أيضا إن لم أطرق بابك ، وأخبرك بما لدى من أقاويل ، أقاويل مغلقة داخل قلب مُشيد ، ومفتاحها الوحيد ، هو الطرق على بابك ، والتحدث إليكِ ، ولو قليلا ، لكى يبدأ هذا القلب بالنبض الحقيقى ، لا المزيف ، وتبدأ الأقاويل بالإنتشار ، لتصبح قيم من التراث ، وبالفعل طرقت الباب ، ودخلت منزلها ، إنه الجنة بحد ذاتها ، دخلت هذا المنزل ، ورأت عيناي الكثير من اللوحات ، ولكن تركتني دون أن تخبرني ، ونظرت إلى اللوحة الأكثر ضخامة ، الأكثر براعة فى كتابتها ، لوحة ليس لها مثيل ، مكتوب بداخلها مفتاح الجنة ، نعم ، شعرت أننى فى الجنة ، شعرت بذلك للحظات ، فنظرت إلى " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، ونظرت بجانبها ، فرأيتها ، وكانت تفيض بنورها المبعثر فى جميع أركان المنزل ، لم أكن أرى فيها سوى عينيها السود والباقى صفاء ،

كأنها مولودة ، عارية ، نعم ، عارية من الذنوب ، عارية من الأخطاء ، عارية تماما ، لا أرى سوى كائن ليس له مثيل ، فسألتها :

مَن أنتِ ؟! ، وما هذا المكان ؟!،

لم تجيب ، وتركتني فى دائرة الحيرة ، وبعد ذلك ، نظرت إليها و تحدثت وعيناي فى قمة الإعجاب :

إسمحى لى بأن أناديكِ بهذا الأسم : أميرة ، وأن أضيف هذا اللقب : العارية ، لتصبحى : الأميرة العارية ، وأعتقد أننى فى الجنة ، جنتك أيتها الأميرة ، ولكن سأذهب الأن أيتها الأميرة ، لم يأتى الوقت بعد ، وداعا أيتها الأميرة ....

إهداء إلى كل إمرأة عفيفة، جميلة فى أخلاقها.....

الرائحة ؟!

هناك مشاعر ، تقود الإنسان إلى طريق ليس له بداية وليس له نهاية ، طريق لا يوجد فيه سوى المشاعر المتراكمة ، محبوسة هنا وهناك ، فى هذا المكان ، وهذا المكان ، وحينما تتحرر، تذهب إليه وتقول : ماذا تريد ؟! ، يجيب : أريد كل شئ ، تجيب : لا أستطيع أن أعطيك كل شئ ، ولكن سأعطيك أهم شئ ، ينظر إليها فى لهفة ، ويقول : وما هو هذا الشئ ؟! ، تجيب : لن أخبرك ، ولكن ستعرف من تلقاء نفسك ، والأن ، سوف أذهب ، ولكن سأعود عما قريب ، إلى اللقاء ، وتذهب وتترك هذا الإنسان ، قد يكون أنا ، أنت ، هو ، ولكن لا دخول إلا للذكور فقط ، لأنهم يعانون منها ، وهى لا تدرى ، لأنها مخلوقة بهذا العنصر ، إنه فى جسدها ، فى شعرها ، ويعمل هذا العنصر على قتل من يقترب منه ، ليس مرة بل ألف مرة ، ويجعله يعانى ، لأنه لا يستطيع أن يصنع مثله ، ولا يوجد أحد بهذا العالم ، يستطيع صنع هذا العنصر ، لأنه من صنع الخالق ، إنه العنصر الذى يستطيع أن يجعلك تموت وتحيا فيه ، إنه القادر على جعلك لا تنام ، قادر على جعلك تتنفس ، ولا تتنفس فى وقت واحد ، شعور غريب ، لا يدركه ، إلا من عاناه ، وجعله يموت ويحيا ألاف المرات ، إنه

العنصر الأخطر بالعالم ، عنصر ، صنعه خالق الوجود ، بالإناث فقط ، ليجعلهم فى أعلى مكانة ، ولكن لا يشعرون بما لديهم ، إنه عنصر " الرائحة " ، يجعلك تذهب إلى المكان الممزوج بهذه الرائحة ، تنتظر إلى أن تأتى هذه الرائحة ، وتتذوقها بكل ما فيك من مشاعر وأحاسيس متلهفة ، إنك إنسان ، من حقك أن تشعر بكل مشاعر الحب ، فمشاعر الحب ليس لا حدود ، وليس لا قوانين ، فهى حرة منطلقة ، تسير فى الأرض ، وتنشر رحيقها الخاص بها ، لتجعلك تطلب الإغاثة ، تريد علاج لهذا المرض الذى لا ينتهى ، إنه مرض الرائحة ، وتذهب لتحصل على عطر يوجد به هذه الرائحة التى لا تقاوم ، ولكن لا تجد ، لأنه لا توجد هذه الرائحة إلا عند المرأة ، فهى تملك سلاح ، من الممكن أن تحكم العالم بهذا السلاح ، لأنه لا يوجد من يوقفه ، فلابد أن ترفع راية الإستسلام لها ، ولكن ماذا أقول ؟! ، فليس هناك كلمات تقدر على وصف هذه الرائحة ، يا لها من رائحة ، لا توصف ، لابد أن الطبيعة بكل ما فيها تستمد منها ، حتى تنشر رائحتها فى كل أرجاء العالم ، وتجعله يعيش فى دوامة مليئة بهذه الرائحة ، ولا يستطيع أحد أن يخرج ، لأنه لا أحد يستطيع مقاومة هذه الرائحة التى لا تقهر ، وفى النهاية ، أقول :

من أنتى ؟! ، يا لك من إمرأة ؟!

إهداء إلى جميلة الجميلات .

إنسانة فى منتهى الجمال ، إنسانة أحببتُها وأسميتُها جميلة الجميلات ، نعم ، إنها نعمة من الله ، خلقها وأعطاها إلي ، ولكن بروحها فقط ، ليس بجسدها ، تأتى إلي كل يوم ، لأنه مشتاق ، فيدق من أجلها ، ويستنشق رائحتها الجميلة ، ويتجدد من جديد ....

الجميلة ؟!

عندما أتحدث عنكِ يا جميلة ، أذكر عيونكِ التى تفيض بنور جميل يا جميلة ، ويكون وراء هذه العيون ، باب من الأسرار ، تتحدث هذه الأسرار معكِ من خلال المرآة ، وتتحدث وتقول :

مهما كان الإنسان قوياً ، فإنه فى بعض اللحظات يشعر بشئ تجاه شخص ، ليس من المسموح له أن يقترب منه ، حتى لا يحترق ، ولكن ليس بإستطاعته أن يفعل شئ ، لأن القلب عندما يرغب بشئ ، لا يهدأ إلا عندما يحصل عليه ، وإن لم يفعل ، يُعذب صاحبه ليلاً ونهاراً ، عندما يستيقظ ، وعندما يذهب للفراش ، ويضع رأسه على الوسادة ، تأتى إليه ، بكل ما فيها من جمال لا يقهر ، عيون ساحرة ، رائحة ليس لها مثيل ، ويظل يتعذب ويقول : ليس مسموح الإقتراب منكِ ، لماذا تأتى إلي فى الحلم ؟! ، لماذا رائحتك فى الهواء ؟! ، لماذا يرغب هذا القلب بتذكرك دائماً ؟! ، ويظل هذا الإنسان فى هذه المعاناة كل يوم ، ويُدفن هذا الشعور فى قلب هذا الشخص ، لأنه إذا فعل وقال كل شئ يشعر به ، حينها سيخسر كل شئ ، سيخسر " الجميلة " ، ولكن إن لم يفعل وظل هذا الشعور بداخله ، سيعانى كل ليلة ، لأنها تأتى كل يوم ، حتى وإن إنقطعت لمدة ، لا تتأخر ، تأتى مسرعة ، وتستمر معاناته ، ولا يدرى متى ستنتهى ؟! ، وفى النهاية أريد أن أقول بعض الكلمات :

من الممكن أنكِ تدركين هذا الشعور أو على الأقل تشعرين به ، من الممكن ، لا ،

أنا مذنب ، ولكن أسأل : هل هناك محاكمة للقلوب ؟! ، وإن كان هناك ، أين هى ؟! ، أنا مستعد أن أقف أمامها ، وأعترف بكل ما بداخلى من معاناة جعلتنى أعشقها ، لأنها تجعلها بين يدي ، ولو للحظات معدودة ، وأقف أمامها وأقول :

سيدى الرئيس ، أحكم علي ، أنا مذنب ، وأعترف بذلك ، ولكن قبل أن تصدر قرارك ، أسأل باقى القلوب : هل هناك قلب لم يكسر القواعد ؟! ، وإن لم يكن هناك ، حينها ، إنتزع قلبى ، وضعه فى أحد المتاحف ، لأنه لا يقدر بثمن .....

الجميلة ؟!

إلى حبيبتى ....

فى يوم من الأيام حدثت معى صدفة ، صدفة جعلت قلبى يدق دقة بعد دقة ، جعلته يتكلم يتكلم بصوت الحب بعدما كان ساكنا في بحر من العتم ، لا أدرى ماذا حصل له ، ولكننى سألته ماذا بك ؟، أجاب وقال لا أدرى ماذا يحصل لى ، قلت له لماذا تشرد كل يوم كأنك تائه في بحر من الأوهام ؟، قال لى لا أعلم لماذا أفعل كل هذا ولكننى أعلم أننى وقعت في الحب؟، قلت له وأنا أضحك : حب أيه يا عم ، فوق ، فى الزمن ده لا يوجد فيه ما يسمى بالحب؟، أجابني في ثقة شديدة: أنا أحبها، وسكن سكونا عميقا ، فحدثت نفسى وقلت مالا هذا القلب؟، وبعد مرور فترة قصيرة، قلت له هاه، قال لى: دعنى أتأمل فى حبيبتى، فى عشيقتى، فى كوكبى، فى نجمتى دعنى، قلت له لا مش هسيبك إلا لما تقولى أيه،الحكاية بالتفصيل، قال: رأيتها رأيت مليكتى، قلت له متوهنيش آه أنا عرفك قولى هى مين ؟، قال: لا أدرى من هى ، ولا أين تسكن ، ولا أين كانت تذهب ، ولا أى شئ عنها سوى أنها إنسانة خطفتنى إلى عالم مليئ بالألوان ، ألوان الحب ، عالم مليئ بالصفاء ، صفاء الحب ، لا أدرى ماذا حصل لى عندما رأيتها ولكننى أدرى اننى عندما رأيتها أحسست أنها تأخذني إلى السماء السابعة، تأخذني إلى فردوسها، فردوسها المليئ بالأشجار والثمار وأزهار الحب ، تأخذني إلى عالم آخر ، عالم لا يوجد فيه ظلم أو كره لأحد ، لا يوجد فيه سوى شيئا واحدا هو(الحب) ، وبعد ذلك سكت وسكن كأنه يتأمل نفسه وهى بجانبه ، فقلت له: وداعا يا

صديقي ساقابلك فى الصباح التالى لكى تكمل قصتك عنها،
وداعا.....

ق ، و ، س ، ق ، ز ، ح ؟!

كل شئ يبدأ ، وكل شئ ينتهى ، ولكن هناك أحداث الوسط ، دراما الحياة ، وكل منا بهذه الدراما ، ولكنها دراما تختلف ، فى الأحداث ، فى الشخصيات ، ولكن النهاية واحدة ، لأنها تهدف دائما إلى الموت ، ولن يبقى أحد ليلعب دوره ، ولكن من سيكون الأفضل ؟! لا أعلم ، من سيكون الأنقى ؟! ، لا أعلم ، من سينتصر ، ويقول أنا الفائز ؟! ، لا أعلم ، من أنا ؟! ، لا أدرى من أنا ، ولكننى أظن أننى ألعب الدور ، وحينما أنتهى ، سيكون هناك دور أخر ، بالتأكيد هناك ، وإذا كان هناك حرية الإختيار ، سأختار دور الحبيب ، لأنه يجعلنى كائن أخر ، أختلف عن باقى الكائنات ، كائن تحيط به الكثير من الورود ، وتأخذه فى جولة حول العالم ، ويرى الكثير والكثير من أفعال الكائنات الأخرى ، التى لم تختار ، ولكن إنجذبت فقط ، ولم تدرك إذا كان هذا الإنجذاب سيدمرها أم لا ، ولكن كالعادة نفعل ما نريد ، سواء كان صواب أو ليس له دافع سوى المتعة المؤقتة ، لأن ليس هناك متعة دائمة ، وليس هناك حزن دائم ، فتسأل نفسك : لماذا تبكى ، تجيب : لا أعلم ، وبعدها ، أتركها لفترة قصيرة الأمد ، وبعد إنتهاء هذه الفترة ، أرجع إليها ، وأقول : لنعقد صفقة ، تقول: وما هى ؟! ، أجيبها : هل من الممكن أن تقعى فى الحب ؟! ، تجيب : نعم ، أقول : وماذا أحببتى ؟! ، تجيب : أحببتك أنت ، أنظر إليها وأقول : لماذا إذن لم أشعر تجاهك بشئ ، تجيب : لأنك تحب شخص أخر ، وتفضله علي ، أجيبها : هل من الممكن أن يحب شخص أحدا أكثر

من ذاته ، تجيب نعم ، هناك ، ولكن ؟! ، أقول : ولكن ماذا ؟! ، تجيب : هناك من يحب الله ورسوله أكثر من أى شئ أخر ، وهناك من يحب الحياة أكثر من أى شئ أخر ، وهناك من يحب إمرأة أكثر من أى شئ أخر ، وهناك من يحب المال أكثر من أى شئ أخر ، وأنت من ستختار من هؤلاء ؟! ، أجيب : الله ورسوله ، تقول : وماذا تفعل أنت ؟! ، لم أجيب ، تجيب هى : إعتقدت ذلك ، فأنت مثله تماما ، قلت وفى عيناي الكثير من الدموع : ومن هو ؟! ، تجيب : إنه المتنوع بألوانه ، أما أنت متنوع ، ولكن فى مشاعرك ، هل عرفته ، أظن ذلك ، وداعا يا صديقى ....

ياريت؟

تعمدت البدء بهذه الكلمة ، لأنها ليست كلمة عابرة ، يكاد يسمعها الإنسان ثم يتجاهلها ، لأن هذه الكلمة توجد فى كل نفس من نفوس هذه الحياة أو بالأحرى هى أصل وجودنا الآن؟! .

فى ليلة من الليالى ، فجأة ، بكيت بكاء لم اعهده من قبل ، وبدأت بذكرها فى مخيلتي ، وبدأت بتذكر ما كان بيننا ونحن صغار ، لأننى لم أنساها أبدا ، ولكننى كنت ابتعد عنها لكى لا اجرحها ، فكل ذكرياتي معها ونحن صغار ، وبدأت أشعر بالغيرة ، لكن لماذا؟ ، لا اعرف ؟ ، هل لأنها ابتعدت عنى ؟! ، أم لأننى احسست يوما أنها ملكا لى ؟! ، لا أدرى؟ ، ولكننى أدرى أن هذا يحدث لى بأمر واحد هو (الاشتياق) ، ويتفرع من هذا الأمر عدة أمور تكاد تدمرنى ، من هذه الأمور ، ليس إننى اعتبرها اجمل فتاة بالعالم ، وليس أيضا إننى عندما أتذكرها أشعر كأن روحى تنسحب منى وتقف أمامى وتقول لى " أنا هنا" ، نعم ،" أنت هنا " ، و بعد هذا كله ، يزداد هذا الاشتياق لدرجة إننى بدأت أغرق فيه ولكننى أستمتع به لأنه يذكرني بها ، وفى نهاية هذه الليلة ، بعد كل هذا البكاء والاشتياق ، جاء إلى ، نعم ، جاء إلى ، بكل ما فيه من قوة وعذاب ، بكل ما فيه من حنين وآلام ، بكل ما فيه من طاقة ، إذا استخدمها سوف يغمر هذا العالم بكل أنواع الحب ، لأنه هو ملك هذه الأنواع ويحركها كيفما يشاء إنه (العشق) ، نعم هو ، جاء إلى وحدثنى ، وقال لى : ماذا تفعل ؟ ، إنك تزعجنى كلما بكيت أو شعرت بألم الفراق! ، قلت له : أنت تعرفنى ، قال : نعم ، قلت له : من أخبرك عنى ؟ ، قال : كل ما تشعر به من

أنواع الحب ، فهناك الكثير منه ، ولكننى الأعلى مرتبة ، لذلك أتيت لكى أحدثك وأخبرك ، أن تبعد عنى ، وتذهب لنوع آخر من هذه الأنواع ، فهناك الكثير ، قلت له : أنا أتيت إليك بحدسى وروحى لأننى أعرف أنك قادر على أن توصل رسالتى إليها ، قال : أخبرني ، لقد أتعبتني كثيرا طوال هذه الأعوام ، فجئت إليك لكى نحل هذه الأزمة ، أخبرني ما هى ، قلت له : أخبرها إننى لم أنساها يوما ما ،و إنى أعشقها لدرجة الجنون ، وأخبرها أيضا إنى فى هذه الليلة فهمت معنى كلمة " ياريت" ، وعندما سمع هذا ، نظر إلى نظرة لم أفهمها ولكننى أحسست بها ، إنها نظرة شفقة ، إنه يشفق على حالى الآن ، وبعدها أخذ رسالتى وذهب ولكنه قبل أن يذهب ، قال لى : لم ننتهى بعد ، سأعود عما قريب، وبعدما ذهب ، ذهبت أنا أيضا إلى غرفتى ، ونظرت إلى المرآة ، كاننى اسف على حالى الآن ، وبدأت أردد وأقول "ياريت ياريت".....

صوت الصمت ؟!

تأتى إلى كل إنسان هذه الحالة ، حالة من الصمت الدائم ، فى هذه الحالة ، يواجه الإنسان العديد من

الإضطرابات ، لأنه يكون فى حالة من الصراع الذاتى ، يكسر كل القواعد التى يجب أن يلتزم بها فى حياته ، ويصنع عالم ، عالم يريده أن يسير على وتيرته الخاصة ، فى هذا العالم لا يتكلم بلسانه ، بل بأعضاء جسده ، كل عضو من هذه الأعضاء يقوم بكل ما يريده بلا حديث ، لأنه فى حالة تمنعه من الكلام ، عزلة تامة عن العالم المتكلم ، طالما هناك عالم متكلم ، هناك الصامت ، الذى يكتفى بلغة الجسد ، وفى هذا العالم ، يندمج هذا الإنسان مع كل عناصر الطبيعة ، وينظر ويتفكر فيما وراء الكلمة ، ينظر إلى الوردة ، ويقول : الوردة ؛

وينظر إلى ما وراء هذه الكلمة ، فيرى عالم مليء بالرائحة الطيبة ، مليء بأسرار حول الكون ، لأنه ينظر إلى التفصيلات الجزئية لهذا العالم ، وعندها يرى أمور كثيرة مثل :

وقوع الإنسان فى بئر الشهوة والخطيئة ، هذا البئر الذى جعل العالم يشرب منه ، لأن مذاقه به متعة ، وفى نفس الوقت عذاب ، ولكن العذاب يأتى لهؤلاء الأشخاص الذين يملكون "صوت الضمير الصامت المقيد " ، فهذا الصوت لديه قوة خارقة ، لأنه يظل أعوام كثيرة ، يستعد لهذه المواجهة ، فيحدث هذا الصوت ضجة ، تستطيع تدمير هذا البئر ، ولكن أين المفر ؟! ؛

فهناك الآلاف منه بل أكثر من ذلك ، لأن الإنسان يذهب إلى المتعة الممزوجة بالسعادة التى يتمناها الجسد ، ولا تتمناها الروح ، فيشعر هذا الإنسان بثقل الحياة ، ويتمنى الموت ، لأنه سيخرجه من " بئر الشهوة والخطيئة " ، وفى نفس الوقت ، لا يستطيع الذهاب إليه ، لأنه لا يريد أن يرى عذاب من " خالق الوجود" ، فيشعر أنه محاصر ، فيدخل فى حالة الصمت الدائم ، فيشعر بالراحة ، ولكن

مؤقتة ، ليس بوسعها أن تستمر ، لأن ليس بوسعها أن تندمج مع حالة " الصمت المسموع" ، فهناك " صوت الصمت " ، هذا الذى يستيقظ بداخلنا ، ويرشدنا ، ولكن

الإنسان ، كائن غريب ، يحدث الكثير من الجدل ، لكى يسمع ما يرضيه أو ما يسعده ، حتى وإن كان على حساب أحد الأشخاص أو على حساب ذاته الضائعة ، وبعد ذلك لا يستطيع أن يفعل شئ سوى الإندماج مع هذا الصوت ، والذهاب معه إلى أى مكان يريده ، وبعد كل هذا ، سألت ذاتى :

هل أنتى ضائعة ؟! ، هل أنا مذنب أم لا ؟! ، لم تجيب ، فبدأت بتكرار الأسئلة عدة مرات ، ولكن الإجابة كانت :

الصمت الممزوج بعذاب الضمير..

رسالة : إلى كل إنسان يصادف هذه الحالة فى بعض الأحيان عندما يرتكب الأخطاء أيٍ كانت، لقد نجحت يا صديقي، نعم، عندما تشعر بهذه الحالة وتقاوم لكى لا تظلم أحداً إلخ، وتسعى فى الخيرات إلخ.....؛

فأنت إنسان، نعم، إنسان بالمعنى الحقيقي.....

سحرهم ؟!

فى البداية ، أرحب بكم ، وأستأذنكم ، لكى أتحدث عنكم قليلا، لأن لديكم الحق بالقبول أو الرفض ، إنكم أصحاب رأى فى كل شئ ، هل تسمحون لي ؟! ، أشكركم ؛

إن هؤلاء أعظم قوة على هذا الكوكب ، إنهم الأمل ، الطموح ، البهجة ، السعادة ، كل هذه الصفات الجميلة لديهم ، أعطاها الله لهم ، لكى يحكموا قلوب العالم ، إن هؤلاء الكائنات الصغيرة ، يملكون الكثير من السحر ، سحر خاص بهم ، يفعلون به أشياء غريبة ، لا تدرى لماذا يفعلون ذلك ؟! ، فعندما يتملك الأب أو الأم الغضب ، ويصل إلى حد كبير ، قد ينهى هذا الرباط المقدس ، يدخل أحدهم ، ويقوم بإستعمال سحره ،

فتنتهى الخلافات فى لحظات معدودة ، كأن شيئاً لم يكن ، يا لها من قوة ؟! ، ويذهب هذا الساحر الصغير إلى المسجد ، ويقرأ فى المصحف الشريف ، وينظر إليه أُناس كثيرة ، أنه طفل صغير ، ولا يدركون أنه فى عالم آخر ، لا يعلمه أحداً سواه ، وبعد ذلك ، يأتى المشهد الثانى من مشاهد الحياة التى لا تنتهى ؛

يكون لديه الكثير من المال سواء الحلال أو الحرام ، يقوم هذا المالك بإنفاقه على متعتة الخاصة ، ولكن يحدث الشئ الذى لا يخطر على عقله ، لأنه لا يعلم ، أن الإنسان مهما كانت صفاته ، فإنه يمتلك شئ جميل ، إنه القلب ، الذى من خلاله يستطيع أن يغير كل شئ فى حياته ، لأن هذا القلب ، هو السبب بمجئ الساحر الصغير ، فيقوم هذا الساحر بإستعمال سحره عليه ، فيدق القلب ، لأن لديه علاقة وثيقة مع الساحر الصغير ، وبعد ذلك ، يتغير هذا الإنسان ، ويصبح شخصاً أفضل فى جميع حالاته، تغيير من الجذور، (بداية الإعتدال) ، لا يعلم ماذا يحدث ؟! ، ولن يعلم ، لأن هذا بين الساحر وبين القوى المتين الذى أعطاه هذا السحر الخارق ، وتتغير حياته إلى بئر عميق

، ملئ بالبهجة والسعادة ، ولكن إذا حافظَ على هذا السحر، (أي الحنان)، الذى يمتلكه ساحره الصغير ، حتى لا يلعب به أُناس آخرين ، يملكون أيضاً سحر ، ولكن مزيف ، ليس له علاقة بالقلب ، وبعد كل هذا ،

أدعو الله أن يبارك فى كل هؤلاء السحرة الصغار ، وأطلب منهم أن ينشروه على هذا العالم ، فإنه يحتاجه ، نعم ،

نحن نحتاج إليكم ؟! ....

إهداء إلى كل طفل برئ.....

الإنتظار ؟!

أبدأ حديثى بقول : الحمد لله ، الحمد لله على نعمة الحياة ، الحمد لله على كل شيء ، إن الله أعطانا كل شئ ، وسيظل يُعطينا ، دون أن يأخذ شئ ، ما أجمل العطاء ؟! ما أجمل الإبتلاء ؟! ، يبتليك على قدر

إستطاعتك ، ما أجمل هذا ؟! ، يعلم أنك ستتجاوز هذه المرحلة ، وتمضى مرة أخرى ، ولكن يريد منك أن تذكره ، ونعلم أنه لا يظلم أحداً ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ؛

ويأتيك شعور غريب ، إنه شعور الإنتظار ، إنه شعور متناقض ، لأنه يجمع بين جمال الإنتظار وقبحة فى نفس الوقت ، فأنت تشعر بأمل كبير ، منتظرك فى إحدى المناطق التى ستصل إليها يوماً ما ، وحينما تقابله ، يأخذ بيدك ، ويرتفع بك إلى القمة ، وبعدها تصبح ذو مكانة مرموقة ، وتنسى كل شئ فعلته فى بداية رحلتك ، من : صلاة ، ذكر ، إحسان للأخرين ، وأشياء كثيرة مغروسة فى قلب الإنسان المسلم ، لأن البيت المصرى من أجمل البيوت التى ستشاهدها فى حياتك ، لأن أساسه سيظل قائم إلى الأبد ، إنه أساس متين " الدين " ، ما أجمل هذا البيت ؟! ، وبعدها أسأل نفسي : من أنا ؟! ، تجيب ولكن لا تعجبنى الإجابة ، لأن ليس لها أساس ، إجابة مزيفة ، أستطيع أن أعيش بها فى الحياة ، ولكن لا أستطيع أن أموت وهى لا تزال معى ، يجب أن أغيرها ، ولكن هناك من يكون سريعاً ، وهناك النوع الآخر ، المعروف لدينا ، إنه البطئ فى كل شئ ، يظل يراقبك ، حتى تصبح مثله ، وبذلك يستطيع الإندماج ، ويظل متمسكاً بك ، إلا أن تأتى الإغاثة من أحد أحبائك ، لكى يساعدك ، وبعد مرور الوقت المعلوم ، تأتى ساعة الإختيار ، وبها النجاح والفشل سواء فى هذا الشئ ، فى كلاهما إنتظار الجائزة الكبرى ، لأن النجاح يستمر ، والفشل ينتهى ، وتبدأ من جديد ، وتظل فى دائرة الإنتظار ، إلى أجل مسمى ، وتسأل نفسك : هل الأحلام قادرة على الإنتظار ؟! ؛

وفى النهاية أردد وأقول :

اللهم لا تجعلنى من الأقوياء الضعفاء ، وإن فعلت ، فأرجوك يا إلهى ، أن تفتح لي كل الأبواب ، " أبواب الرحمة " ....

الإنتظار ؟!

أقول ، وأقول ، بلا توقف ؟!

فى كل لحظة ، تخطو بالإنسان ، يتعلم فيها الكثير ، لكنه يأخذ كل ما يريد ويفضل ، ويترك الباقى ، ويظل يبحث عن السلام والطمأنينة ، ليس من العالم الذى يعيش فيه ، ولكن من ذاته ، وأسأل بسؤال محير ، لم أجد له جواب ، ولكن أجد دائما حل مؤقت ، وهو :

ما ماهية النفس ؟! ، وماذا تريد ؟! ، تجعل الكثير من البشر أوفياء ، وتجعل الكثير والكثير خائنين ، تجعلك تحب وتعشق ، وتجعلك تكره

وتحسد ، تأخذك إلى أخر حافة بالعالم ، وتقف بثقة شديدة ليس لها مثيل ، وتقول بأعلى صوت : يا الله ، يا الله ، وبعدها تبدأ بالبكاء والصياح ، تطلب الإغاثة ، مهما كانت قوتك ، ومكانتك ، وجبروتك ، تذهب فى النهاية إلى هذه الحافة ، فتكون فى أعلى القمة ، ولديك الكثير من القوة ، وتقول : أنا لا أقهر ، ومع ذلك ، تبدأ بالبكاء والصياح الشديد ، وتقول هذه الكلمة : يا الله ، وتظل ترددها ، لماذا تقول هذه الكلمة يا أخى ؟! ، فأنت لديك القوة والمكانة والنفوذ ، لا يجيب هذا الرجل القوى ، ولكن تجيب عينيه ، لأن بها الكثير من الدموع ، الكثير منها ، ولكن يخفيها ، لوقت معلوم ، وحين يأتي هذا الوقت ، تنفجر عاصفة من الدموع ، عاصفة تكاد تغرق هذا العالم ، ويمر الوقت ، ويمر الزمان ، يمر بسرعة شديدة ، لا أدرى ، لعله يطلب الإغاثة ، لا أعلم ، ولكنى أعلم شيئا واحدا ، هو أنه يطلب العفو والمغفرة من الملك القدوس ، الذى بيده ملكوت كل شئ ، نعم ، كل شىء ، وتسأل ذاتك : لماذا تقولى هذا الكلام ؟! ، هل إقترفتى ذنب مريب ، وتريدى العفو ، تجيب الذات بكل ما فيها من طاقة ، بكل ما فيها حنان ، بكل ما فيها خوف ، وتقول : يا الله ، وتظل بتكرارها على مر الزمان ، كل نفسا بشرية تقول هذه الكلمة ، سواء كانت على طاعة الله ، أو لا تؤمن به ، وتؤمن بأشياء أخرى ، ولا تعلم ، لا ، إنها تعلم ، ولكن يأمرها هو بفعل ذلك ، لكى يرى من سينجح ، ومن سيفشل ، وتنفذ الأمر ، بكل طاعة وثبات فى الأمر ، ويقول هذا العبد الفقير : يا الله ، مهما كانت لغته ، ففى النهاية ، كل شىء بيده هو ، لا مفر ، وبعد كل هذا ، أقول بكل ما أملك من قوة ، بكل ما أملك من إيمان ، بكل ما أملك من خوف ، بكل ما أملك من دموع ، وأقول : يا الله ، فهذه الكلمة عندما تقولها كل نفسا بهذا العالم

، تشعر بإرتياح ليس له نهاية ، وفى نفس الوقت تشعر بخوف ليس له حدود ، لأنها لا تعلم أين منزلها الأبدى ، وتظل فى حيرة متواصلة ، بئر عميق ليس له نهاية ، ولو كان لنهاية ، فمن المستحيل أن تعرف ما هى ؟! ، لأنها ليست نهاية طبيعية ، بل ستكون نهاية مفزعة ، ليس لها مثيل ، لكل نفسا بشرية ، وأختم حديثى بقولها ، لعلها تداويني ، وأقول : يا الله...

وهناك المزيد ...

اللحظة ؟!

نعلم جميعاً ، أن الإنسان مهما كان قوياً ، يظل ضعيفاً فى كثير من النواحى ، ولكن قرر هذا الإنسان أن يتحد مع جميع الإخوة ، ليُصبحوا إنساناً واحداً ، يفعلون ما يريدون ، إلا أن تأتى هذه اللحظة ، نعم ، إنها اللحظة الحاسمة للموقف ، وهى " لحظة ضعف " ، هذه اللحظة التى تأخذ الإنسان إلى مكان بعيد عن أعين البشر ، لكى تختبره ، هل هو قوي أم ضعيف ؟! ، لأنها تفعل ما تؤمر به ، لذلك أخذت هذا الإنسان إلى المنزل المُزين بأدوات الراحة ، وأظهرت له كل ما هو جميل ، وظل هذا الإنسان ينظر إلى هذا الجمال ، فهو

مهما كان قوياً ، يظل ضعيف ، وخسِر الإختبار ، ولكن لم يكن الأخير ، فهناك الكثير من الإختبارات ، وبكى ، نعم ، بكى كثيراً على ما فعله ، وعاد إلى ربه مرة أخرى ، ولكن هذه المرة مكسور الجناحين ، فبدأ بالإستغفار ، لكى تعود أجنحتة تعمل مرة أخرى ، وبذلك أدرك السر ، نعم ، " سر النمو " ، فعندما تأتى هذه اللحظة ، وتنكسر أجنحتة ، يعلم إلى أين سيذهب ؟! ...

الخاتمة:

كان هناك مشاجرة بيني وبين أحد الأصدقاء المقربين حينما بدأ وقال أيام الملك فاروق والإحتلال الانجليزي كان يوجد خير وكان هناك أمان وسلام وأسعار مناسبة فقمت بالرد عليه ولكن يوجد احتلال يا صديقي ألا تعلم ماذا يفعل؟!، نظر بغضب شديد وقال بسخرية ما هو !،

قُلت : لنتعرف أولا على مصر

إنها **الأرملة** التى تبكى على فقدان زوجها وحبيبها إلى أن تذهب إلى خالقها ،

إنها **الإنسانة الشغوفة** بحلمها ، والإنسان الملئ بالعشق المجنون الذى يذهب وراء حبيبته بأقصى سرعة لكى يلحقها ، وإن لم يستطع ، يعيش على ذكراها ،

إنها **الضحكة الدافئة** ، الجبنة ورغيف العيش ، الأم والأب ، الأخ والأخت ، والجِد والجِدة ، إنها الأخوة ،

إنها ضحية المتطرفين الذين يقولون : إننا أبناء الله ، إننا المخلصين ، ولكن هم الفاسدين ، هم من ينظرون إلى عيون الإنسان البرئ ، ولكن لا يشعرون بها ،

إنها **الفلاح الأصيل** الذى يساعد الإنسان الذى يأتى إليه ويقول : أنا جعان ، يسمع هذا ، وعلى الفور يقوم بإحضار الثروة الدائمة فى كل بيت مصرى ، " الجبنة والعيش " ، والشئ الأكثر أهمية " المعاملة الطيبة "

إنها المعنى لهذه الكلمة " الإنسان " ، إنها " **مصر** " ولكن بالمعنى الحقيقى لها....

أعلمت الآن ماذا يفعل الاحتلال أو ما هو؟! مع تعريف بسيط لأم الدنيا مصر.....